ـ أنـامل خفيـة ـ

"عندما تكون بصمات الأنامل كبصمات الرياح"

(سمر رجب)

بسم الله الرحمن الرحيم

Samar ragab

الفصل الأول

جال ببصره على تلك الجثة الهامدة الممدّدة على الأرض الغارقة بدمائها ، بدا له من اللحظة الأولى أنّها نزفت كثيراً حتى امتدّت بقعة الدماء تحتها بشكل ظاهر، أشار للعسكري
هتف العسكري بسرعة وكأنه يحفظ نصّاً ويلقيه على الحضور:

- حسّان عبد المتعال عبد المتجلّي؛ يبلغ من العمر ثمانية وستون عامًا، لديه ولدان وفتاة ، زوجته توفاها الله منذ خمس سنوات ، ليس لديه أشقاء، والطبيب من المعاينة الأولى أخبرنا أنها ربما تكون واقعة انتحار!

علقت الكلمة داخل عقل الضابط وفكّر باستغراب ما الذي يدفع كهلاً كبيراً في السن كهذا إلى الانتحار؟ حدث نفسه قائلاً بأنّه لابد من وجود حلقة كبيرة مفقودة في الأمر.

تفقّد الضابط المكان بدقّة وحِرفية كبيرة تنمّ عن خبرة سابقة مميّزة، راح يطالع أدقّ التفاصيل في المكان، نظر إلى الجثة نظرات متفحّصة لا تخلو من التساؤلات فتلك واقعة غريبة بالنسبة لقرية صغيرة تتعرى تماماً من تلك الأفكار كالانتحار وغيرها!

عاد إلى مكتبه ليبدأ في التحقيق والتفكير جيداً فما هي دوافع ذلك المُسِنّ يا ترى .. كي يفرط بآخر سنوات حياته بتلك الطريقة الغريبة!

رن هاتف مكتبه الأرضي فرد عليه بانهماك وهو يطالع الأوراق الخاصة بالقضية ومعلومات المنتحر الشخصية انقلبت ملامحه من الانشغال إلى العصبية عندما سمع رئيسه على الطرف الآخر من المكالمة بلهجة آمرة:

- كيف حالك يا حضرة الضابط؟ وصلني مؤخرًا معلومات عن القضية التي تعمل بصددها الآن، أعلم أنها جديدة من نوعها لديك في تلك البلدة الصغيرة وبالطبع لا أحمل بداخلي أدنى شك في كفاءتك لكنني أرى بأنه لابد من مد يد العون لك على الرغم من عدم احتياجك لذلك لكن لنقول أنك ستقوم بخدمتي في طلب صغير أرجوه منك.

عقد قصي حاجبيه باستغراب قبل أن يقول بحيرة:

- تحت أمر سيادتك بالطبع لكنني لا أفهم أي شيء!

هتف رئيسه بجدية:
- ابنة أخي تخرّجت حديثاً وهي الآن تحت التمرين ولن أجد أفضل منك لكي اطمئن عليها معه ولأنني أيضاً أريدها أن تنهل قدر الإمكان من كفاءتك وأمانتك في العمل.

لوى قصي شفتيه بتهكم، شعر بالضيق يغلّف صدره، لكنه صاح باصطناع:
- أشكرك سيدي على ثقتك بي وأتمنّى أن تحظى ابنة أخيك بوقت رائع مفيد معنا.

أغلق معه الخط بعد أن أخبره انها ستصل اليه غداً في الصباح الباكر وعليه أن يرسل أحداً لاستقبالها.

تعهّد بداخله أن يعمل جاهداً على أن يجعلها تملَ من المهمات الموكلة إليها وأن تعود من حيث أتت فهو لا يكره شيئاً في حياته مثل دلال النساء وعرقلتهم لكل سفينة سائرة، لديه اعتقاد كبير بأن النساء كائن بطيء خُلِق لكي يغيظ الرجل ويستفزه بكثرة الدلع والتفاهات!

samar ragab

يؤمن كثيراً بمقولة الشاعر نزار قباني:
" مكياج المرأة يجب أن يكون مكياجاً ثقافياً لأحبها.. لا أستطيع أن أحتمل امرأة جميلة وغبية".

جلس "قصي" يفترش الأوراق أمامه يدرس أقوال المحيطين بالرجل المنتحر، تميّز قصي عن زملائه بسرعة حركته ونشاطه وكرهه لإضاعة الوقت، أرسل في طلب المحيطين بالمنتحر على الفور ليأخذ أقوالهم فقالت ابنته فاطمة بحرقة قلب ونبرة صارخة:
- إنّ أبي رجل عظيم بنظري لم أره في حياتي يؤذي أي شخصٍ كان والجميع من حوله يحبّونه ولم يشتكِ أحدهم منه قط!

وقال نجله الأكبر بثبات:
- أبي كان رجلًا جيداً للغاية، لا أصدق أنّ فكرة الانتحار تلك راودته من الأساس فكيف لي أن أصدق الآن أنه يُقدم على قتل نفسه أو يموتَ على الكُفْر والعياذ بالله! صدقني سيدي الضابط، أبي قد قُتِل قتلاً أقسم لك بذلك.

وكانت أقوال نجله الأصغر خالية من القوة حيث انهار قائلًا بصوتٍ باكٍ:
- لا أستطيع التحدث حالياً اتركوني وشأني لم تبرد نيران حزني عليه ولم تجف بحور البكاء عليه، اتركوني ألا تعي قلوبكم معنى الرحمة!

وأدلى جاره في البيت المقابل له بما عنده حيث قال:
- أقسم لحضرتك سيّدي أن أقول الحق، حسّان رحمه الله لم نسمع منه أو عنه إلّا كل خير لكنه منذ عامين تقريباً أصبح يغلق باب منزله عليه وقَلّ خروجه كثيراً حتى أصبحتُ أراه بالصدفة كل فترة وهو أيضاً من الأشخاص المتمسّكين بالحياة ويرغب في عيشها لآخر لحظة فيها، لا أصدق ما يتداوله البعض عن مسألة انتحاره تلك!

قرأ أقوالهم بدقة مراراً وتكراراً حتى لمع بعقله شيء صاح على إثره بالعسكري كي يأتي إليه بسرعة، دخل الأخير عليه غرفة المكتب، أدّى التحية وانتظر أن يطلب قصي مراده منه، حكّ قصي ذقنه ثم قال وهو يرفع حاجبه الأيسر:

- حسّان لديه حاسوب في منزله، وقعت عيناي عليه في الصباح، ذاك الحاسوب أودّ أن يكون بحوزتي بعد بضع دقائق من الآن، ليس هذا فقط أريد أيضاً أن يكون خبير الشبكات والاتصالات هنا في هذه الغرفة قبل وصول الحاسوب، مفهوم؟

أدى العسكري التحية مرة أخرى وهتف موافقاً بأدب، مرت نصف ساعة قبل حضور خبير الشبكات الذي بدا من النظرة الأولى شابّاً في العقد الثالث من عمره لكن قميصه التقليدي، بنطاله قديم الطراز، نظّارته الطبية المقعرة وحركته المعتادة في رفع النظارة على أنفه كثيراً يعطيان تلك النظرة المبدئية فيشعر من يراه أنه أكبر من سنه الحقيقي مما يجعله يبدو محترفاً في عمله.

تنحنح الشاب بتوتر قبل أن يدلف لمكتب قصي، نظر إليه الأخير نظرة جانبية ولم يعره اهتمام، أشار بيده إليه بالجلوس، ثم انهمك بالأوراق الموجودة أمامه حتى أتى العسكري بالحاسوب الخاص بـ حسان فأمر قصي الشاب بفك شيفرته وفحص كل البيانات المحملة عليه حتى أدق التفاصيل!

بعد مرور بعض الوقت نهض قصيّ ليعد لنفسه كوباً من الشاي، اقترب من الشاب، هتف بجمود وهو يرتشف أول رشفة من الكوب:
- أخبرني هل وصلت لشيء؟

رفع الشاب نظّارته على أنفه بقلق، سعل ليزيل توتره، صاح بهدوء:
- تقريباً!

صاح قصي بعصبية:
- ماذا تعني تلك الكلمة اللعينة، ألم يخبرك أحدهم أنّ العمل هنا لا يعترف بكلمة "تقريباً .. انتهِ من عملك بأسرع وقت ممكن غير مسموح لك بتضييع الوقت أبداً.

فزع الشاب من صوته العالي فردّد بخوف واضح:
- نعم.. نعم سيدي لقد فهمتك.

هتف قصي وهو يجلس واضعاً ساقيه فوق الطاولة أمامه لكي يريح ظهره من تعب اليوم:
- حاول أن تكون خفيفاً مجتهدًاً أيها الشاب وإلا فإنّ غضبي غير محمود إطلاقاً.

زفر الشاب بضيق عندما فاض به الكيل، و قال بثقة:

- حسّان عبد المتعال؛ هذا هو اسم الصفحة الأساسية على الفيسبوك، أما الأخرى والأكثر أهمية تلك مربط الفرس سيدي وأعتقد بأننا سنستفيد منها كثيراً في القضية.

ضيّق قصي حدقتي عينه، وصاح باهتمام:
- انطق هيّا تحدّث بما علمته فوراً ،
أجابه الشاب بسرعة:
- "زهرة الصبار" ذلك الاسم المستعار استخدمه في حساب شخصي مزيف وكأنه امرأة ليأخذ راحته في الحديث مع السيدات في أي أمر كان وإقامة صداقات معهن بسهولة ويرسل لهن صورة لسيدة على أنها هي التي تتحدث إليهن، بالتالي تقوم من يتحدث معها بعد أن تطمئن بالفعل أنها امرأة بإرسال صورها الشخصية ، وبعد ذلك يكشر عن أنيابه ويقوم بتهديدهن لإرسال المزيد من الصور الخاصة والخوض معه في الحديث المسيء، تلك الصفحة وحدها تعدّ شبهة جنائية سيدي!

شرد قصي، بدت على وجهه إمارات الحيرة بعد أن غرق بالتفكير، ثم صاح فجأة بتساؤل:
- إذن فلماذا قام بالانتحار؟ هل من المعقول أن تكون إحداهن قامت بتهديده أو ربّما أحد يخصها قام بذلك! هل تختلف تقارير الطب الشرعي بعد ذلك وتكون قضيته قتل على يد زوج أو شقيق إحداهن؟

رد الشاب نافياً:
- لا أعتقد ذلك.. لا يوجد أمامي أي رسائل تدل على ذلك، الأمور طبيعية جداً و لكن من أسبوع تقريباً توقف نشاطه المُخِل وتوقف عن تهديد السيدات، لكن هناك محاولة أخيرة سأقوم بفعلها علّها تفيدنا بشيء!

بدأ قصي يُعجب بقدرات الشاب لكنه كان يُظهر عكس ذلك لكي يجعله يبذل مجهوداً أكبر، هتف بسخرية:
- و هل نحن في "فوازير رمضان" تحدث يا بني بسرعة؛ ماذا ستفعل؟

تنحنح الشاب بحرج، رفع نظارته بتوتر، قال بنبرة مهزوزة:

samar ragab

-سأحاول أن أعيد كل البيانات التي تمّ محوها في الجهاز وحتى الرسائل المفقودة في الفيسبوك؛ بمعنى أوضح أي شيء قام الضحية بمحوه في كل جهازه سأعيده مرة أخرى!

أشار قصي بإصبعه باتجاه الشاب بحماس، صاح قائلًا:
- عظيم، افعل هذا فورًا .

بعد قليل من الزمن صاح أحمد بتعب وقد ارتفعت ثقته بنفسه بعض الشيء:

- أمامي ما يقرب من الساعتين حتى تكون البيانات على الجهاز هل تسمح لي أن أستريح قليلاً سيدي؟

نظر إليه قصي نظرات تخلو من المشاعر، أشار إليه بيده أن يذهب حيثما يشاء، حوّل نظره امتنانا ونظر من النافذة فوجد شمس النهار تظهر بخفة وبدأت العصافير بالدندنة، شعر هو أيضا بالتعب فنهض وجلس على كرسيه ووضع رأسه على المكتب أمامه، تملك منه الإرهاق وغلبه النعاس دون أن يشعر.

استيقظ قصي على صوت هاتفه يعلن عن وصول رسالة نصية، نهض ببطء، نظر في الساعة فوجدها الثامنةصباحاً، رفع رأسه بسرعة فوجد أحمد يجلس على الحاسوب ويعمل باهتمام ونشاط كبير فتنحنح قائلا بتعب:
- من الواضح أنني كنت متعباً للغاية، لِمَ لم توقظني؟

رفع أحمد نظارته على أنفه وقال بإحراج:
- سيدي أنا من يعمل هنا فلم أجد أي داعٍ لإيقاظك ففضلت أن أدعك ترتاح قليلاً وكنت سأوقظك بالفعل عندما أنتهي.

حرّك قصي رقبته يساراً ويميناً قبل أن يتساءل:

- هل وصلت لشيء؟

أجابه أحمد بشجاعة:
- بالطبع سيدي.

samar ragab

فتح فمه ليسترسل في حديثه متفاخراً بنجاحه وحرفيته بما يفعل، لكنه توقف عندما وجد قصي ينظر في هاتفه باهتمام ويبدو على وجهه الانزعاج، فصاح بتساؤل:
- هل هناك خطب ما سيدي؟ هل أنت بخير؟

ضرب قصي رأسه بيده، ثم قال بملل:
- لابد أن أذهب الآن، استمر بعملك حتى أعود، لن أتأخر ربما ساعة أو أقل.

تلك الرسالة التي سببت لقصي الانزعاج كانت موجهة إليه من رئيسه في العمل وكانت تحتوي على
" قصي! لا تنسَ أن تقابل ابنة أخي في محطة القطار، ولا أريد أن أستمع إلى أي شكوى منها ضدك، لكنني أيضا لن أنسى لك صنيعك وأشكرك مقدماً!

* * * * * * *

توجّه إلى محطة القطار متذمراً، لاعناً حظّه الذي أوقعه في تلك الظروف السيئة ، لأنه لن يتحمل تلك الفتاة المدلّلة التي تنتمي الى عائلة تُسَهّل لها كل الطرق بينما هو و أمثاله وصلوا لأماكنهم المميّزة بمجهودهم الشخصي وبعد أن دهستهم الأيام وأذاقتهم الويلات!

هبطت من القطار فتاة في أوائل العشرينيات تتميّز بجسد رياضي، وجهها خالٍ تماما من أية مساحيق تجميلية برغم هذا بدت جميلة جداً، ترتدي بنطالاً من الجينز الأزرق وقميصاً قطنياً عاري الأكتاف أبيض اللون، قبعة رياضية، ترفع شعرها على هيئة " ذيل الحصان " تغطي عينيها العسلية بنظارات شمسية لاءمت وجهها المستدير كثيراً، تجر وراءها حقيبة كبيرة تحمل أمتعتها وعلى خصرها حقيبة صغيرة.

رأته يجلس على مقعد الانتظار فتوجّهت إليه بثقة هائلة، و قالت بصوت شديد العذوبة يخالف طلّتها القوية:

- حضرة الضابط.. هيّا بنا!

نظر إليها من أعلى إلى أسفل نظرة متفحصة، رفع حاجبه الأيسر بغرور ثم قال بلهجة قاسية نوعاً ما:
- إلى أين؟ و من أنتِ أساساً؟!

هزت رأسها باستهزاء، بعد أن ابتسمت بكبرياء، ثم قالت:
- بالأساس!! امممم.. ألا تعلم أنت لمَ أتيتَ إلى هنا؟ يبدو أنني سأعاتب عمي كثيراً على اختياراته الخاطئة للضباط الذين يعطيهم ثقته!

فهم قصي من حديثها أنها تلك الفتاة التي أتى ليأخذها، لكنها استفزته جداً فقرّر التعامل معها ببرود ومماطلة، وقف أمامها فبدت ضآلة جسدها بجواره واضحة وضوح الشمس، انحنى بجوار أذنها، و قال بنبرة لم يخفَ فيها التهديد :
- يبدو أيضاً أنكِ سترتاحين معنا كثيراً وستكون الأيام القادمة التي ستجمعنا معاً لطيفة للغاية!

تحرّك من أمامها بثقة شديدة، ثم طلب منها أن تتبعه، لكنها صرخت به أن يتنظر ليحمل حقيبتها فعاد إليها وأمسك بالحقيبة بعصبية فرفعت رأسها بتعالي وسبقت خطوته بخطوتين.

صرخ بغيظ:
- لكن من أين علمتِ أنني من ينتظرك؟

التفتت إليه ببطء، خلعت نظارتها، نظرت إليه نظرة ساحرة، وقالت بثقة:
- ديما الشرقاوي.. تعلم كل شيء يا عزيزي!

* * * * * *

الفصل الثاني

samar ragab

طلبت ديما منه فتح باب السيارة لها، انصاع لطلبها بهدوء!
حتى هو لم يعرف سبب هدوئه وصبره عليها والذي لم يكن من عادته ؛ أهو صلابة شخصيتها أم حضورها الطاغي هو من يجعله يرضخ لها هكذا، في النهاية هو الآن بصدد متاعب حتمية لأنه سيلاقيها في أيامه المقبلة مع ذلك التكوين المتجسد أمامه على هيئة فتاة قوية الشخصية!

توقف بسيارته أمام مبنى قسم الشرطة الذي يعمل به، طلب منها الهبوط من السيارة واللحاق به، راحت عيناها تجوب المكان بتفحص وعناية، صاحت بتعجب وهي تدخل مكتبه الخاص:
- ألن أستريح قليلاً من إرهاق السفر؟ هكذا يفعل " الجنتل مان" أحضرتني إلى العمل مباشرة!

فتح فمه ليكيل لها بعض الكلمات اللاذعة، تحدثت بسرعة مستكملة ما بدأته من حديث:
- لا مشكلة فلنبدأ، أنا أحب النشاط والهمة بالعمل وأكره إضاعة الوقت!

قالت جملتها الأخيرة وهي تخلع قبعتها من فوق رأسها لينساب شعرها البني الطويل على ظهرها بنعومة جعلته يتجمد فاتحاً فمه بإعجاب واضح ألجمه عن الرد، أخرجته من تلك الحالة عندما صاحت بجدية:
- لقد تسربت إلى مسامعي بعض الأشياء عن القضية الجديدة، أريد أن أطلع على الأوراق الخاصة بها.

استغرب من سرعة اندماجها بالعمل وجديتها فيه ، لم يمر سوى بضع ساعات على تلك القضية فكيف لها أن تكون بذلك الحماس لدرجة أن تعلم ما لم يخبرها به، لم يجبها ووجّه حديثه لأحمد الجالس في وضع المشاهد لحديثها باهتمام:
- هل وصلت لأي شيء جديد يا فتى؟

أجابه أحمد بعدم فهم:
- أخبرت سيادتك قبل أن ترحل أنني قد توصّلت لمعلومات هامة للغاية!

ارتبك قصي عندما تذكر أنه بالفعل أخبره عن ذلك فقال بسرعة:

- تحدث وأخبرني بما لديك وكفّ عن الحديث الجانبي!

اقتربت ديما من أحمد وعلى وجهها ابتسامة لطيفة، مدت إليه كفها لتصافحه بتودد، هتفت بصوت رقيق:
- أهلاً أنا ديما تشرفت كثيراً بمعرفتك.

ابتسم أحمد ببلاهة، مسح يده بارتباك قبل أن يصافحها، تمتم بكلمات غير مرتبة جعلتها تضحك بعذوبة و تحثّه على الهدوء، شعر قصي بالغيظ ينهش صدره لأنها تعامله هو بتعالي وتكبّر بينما تتقرب من أحمد وتعامله بلطف، اقترب وأعطاها الملف بيدها بطريقة عنيفة بعض الشيء، صاح قائلاً وقد تجهمت ملامحه:
- هل برأيكما هنالك متسع من الوقت للتعارف؟ هيا لندخل في لُبّ القضية ولنترك التفاهات جانباً الآن!

نظرت إليه باستهزاء، لم تجبه، تفحّصت الملف باجتهاد ففهمت مجريات القضية سريعاً، طلبت من أحمد أن يخبرهما بما وجده على الحاسوب!

قال أحمد بثقة اكتسبها من وجودها وحديثها اللبق معه:
- بعدما أعدّتُ جميع البيانات المحذوفة والمفقودة على الجهاز وجدت شيئاً خطيراً ، رسائل تهديد على حسابه الشخصي الذي يحمل اسم "حسّان" وليس المزيف الذي يحمل اسم امرأة، المهم أن تلك الرسائل كانت حرفيّاً تقول " أنا أعلم كل شيء عنك ، تستطيع أن تناديني باسم قدرك أو جلادك الذي سيقتص منك بدل كل امرأة قمت بتهديدها أو تسببت لها بالفضيحة، سأجعلك تشرب من نفس الكأس أيها القذر لتصبح سيرتك وسيرة بناتك على كل لسان حتى تهبط سياط الألسنة على أرواحكم بلا رحمة، سيخاف الرجال على نسائهم وبناتهم من مراهق عجوز مثلك!
هل تحب أن أخبرك بالمزيد عن نتائج قذارة أفعالك؟

اعتدلت ديما في جلستها، تبدلت ملامحها إلى الحماس المفرط، نطقت ونبرة صوتها تتعالى باهتمام:
- وبماذا أجابه حسان؟

استردف أحمد قائلًا:
- تساءل "مستنكراً" من أنت وماذا تريد؟ يبدو أنك تهذي يا هذا!

بالطبع عندما أجاب حسان بتلك الكلمات أرسل له ذلك الحساب المجهول صور محادثاته مع السيدات وتهديداته لهن، ليس هذا فقط بل أرسل إليه تسجيلات هاتفية مخلة بالآداب مع بعضهن ممن رضخن لوعيده ومكالمات مرئية من الطرفين.

ضرب قصي على مكتبه بعصبية وقال بعدم فهم:
- من هذا ومن أين علم بكل تلك التفاصيل، ولماذا يقوم بتهديده من الأساس هل يحتاج للمال؟ هل ينتقم لإحداهن؟ ماذا يحدث يا إلهي؟

نظر إليه أحمد من خلف نظارته باستياء، ثم هتف بنبرة هادئة نوعاً ما:
- هذا الحساب الوهمي قد طلب من الضحية أن يقوم بالانتحار على شرط أن ينتحر خلال أسبوع واحد لا أكثر ووعدَه أن سرّه سيُدْفَن معه أما لو تراجع عن تنفيذ ذلك فإنه سيواجه فضيحة ستجعله يدفن نفسه حيّاً...
استمر ذلك الحساب في إرسال تهديدات يومية لحسان وتلاعب بأعصابه كثيراً حتى أقدم الأخير على قتل نفسه قبل أن يمرّ عليه الأسبوع المحدد .

نهضت ديما ببطء، أعادت خصلات شعرها للخلف بتوتر، هتفت قالت بذعر:
- ما كل ذلك الذعر الذي عاشه هذا الإنسان قبل أن يقتل نفسه! أتفق بشدة أنه قذر لاشكّ و لكن القانون لم يُقَصِّر مع أمثاله، تلك الطريقة ليست مناسبة إطلاقاً لإعادة الحقوق لأصحابها!

نطق أحمد بلهفة:
- هناك شيء أخير سيدي؛ ذلك الحساب طلب من حسان أن يقوم بمسح كافة الرسائل بينهما، تقريباً كان يرغب أن يظل خلف الصورة وألّا يعلم بوجوده أي شخص .

ظلّت التساؤلات تُطرح بينهم والإجابات تائهة لم تصل لعقل أحدهم، شعر قصي بإرهاق ديما الذي تجلّى واضحاً على ملامحها ورقبتها التي تحركها باستمرار، غمغم بصوت غير مسموع:
- يجب أن ترتاحي قليلاً.

التفتت إليه متسائلة :
- هل تتحدّث معي؟!

= نعم.. أخبرتك أنه لا بد لكِ بقسط من الراحة.
وافقته الرأي فأرسل في طلب العسكري الذي سيرافقها إلى المنزل الذي استأجره لها بناءً على طلب عمها منه.

همّت بالمغادرة وهي تمسك برقبتها تعباً، رنّ هاتف مكتب قصي فأجاب بصوت مرهق، ظلّ يستمع إلى الطرف الآخر لبضع ثواني ووجهه ممتعض يبدو لمن يراه أنه يستمع إلى أخبار سيئة للغاية، جحظت عيناه، ابتلع ريقه بصعوبة، أغلق الخط دون أن يتفوّه بكلمة، نظر إليهما، ثم قال بجدية:
- هناك ضحيّة جديدة؛ حالة انتحار! قد حرّر أهلها بلاغاً منذ قليل.

توجّهوا إلى عنوان الضحية هم وبعض عناصر الشرطة والطبيب الجنائي الذي أرسلوا سريعاً في طلبه.

منزل زوجية حديث لعروس لم يتعدّى وجودها فيه عام واحد فقط، نائمة على فراشها المغطى بالدماء المتسربة من شرايين كفيها، كُحل عيناها منساب على خديها وكأنها بكت مرّ البكاء قبل أن تقتل نفسها، قد تركت رسالة بجوارها على الكومود الملتصق بالفراش مكتوب بها كلمة واحدة وهي " سامحوني "!

تفحصتها ديما بقوة وشجاعة نادراً ما تصدر من فتاة بعمرها، اقتربت منها، هتفت بثبات مهني:
- من الواضح أن الضحية حامل في شهرها السابع تقريباً.

صرخ بها قصي غاضباً:

-هذا ليس عملك، فما بال الطبيب الشرعي الآن يتعلم منكِ أم يقف متفرجاً على كفاءتك! ابتعدي عن الجثة حالاً!

أرسلت إليه نظرة قاتلة قبل أن تهتف بهدوء:
- أنا أعلم جيداً كيف أقوم بعملي، أنصحك بأن تعمل بشكل احترافي أكثر من ذلك، قم بفحص المكان بدقة واعطِ لعناصرك الأمر بالتحفظ على متعلقاتها الشخصية كهاتفها المحمول وحاسوبها بدلاً من التركيز على إلقاء النصائح عليّ طوال الوقت.
صرخ قصي بأمين الشرطة أن يأخذ ديما ويعيدها إلى قسم الشرطة لحين النظر في أمرها إن كانت ستكمل معه أم لا، لم يعطها أي فرصة للاعتراض لقد كان في أوج غضبه وكانت الأمور لا تحتمل مناقشة!

تابع قصي عمله من دونها وطلب منهم التحفظ على أي شيء قد يساعدهم وبالطبع أخذ أحمد هاتفها ولم يجد أي جهاز آخر غيره سوى هاتف صغير قديم فأخذه أيضاً للتحقّق من الموجود عليه، نُقلت الجثة للتشريح ولكن من المعاينة المبدئية بالفعل الضحية حامل في شهرها السابع كما قالت ديما!

بداخله تيقن أن تلك الفتاة ذكية وغير مدلّلة على الإطلاق فهي قوية ولا تهاب المهمات الصعبة، بدأت نظرته إليها تختلف لكنه عزم على تلقينها درساً لكي تحترمه أمام عناصره، عاد إلى مكتبه هو وأحمد فوجدها تجلس منهمكة ببعض الأوراق ويبدو عليها الاندماج الشديد فيما تقرؤه!

تعجب قصي واحتار في أمرها لأنه توقع أنها ستعود باكية منتظرة إياه لتعتذر منه راجية أن تظل معه أو حتى توبّخه لكنها عادت لتعمل بِجِدّ متجاهلة ما قد حدث بينهما وكأنه لم يكن.

ما إن شعرت بوجودهم حتى نهضت بحماس قائلة:
- تلك بعض التحريات عن الضحية قد طلبتها من أحد العناصر، وطلبت أهلها للتحقيق أيضاً، وعندما علمت اسمها بالكامل بحثت عنها عبر "الفيسبوك" بالاسم والبلد والدراسة فظهر لي بعض الحسابات فوجدت من بينهم حساب متزوجة من " محمد بسيوني " بالطبع هذا هو زوج الضحية، تصفحت الحساب فوجدتها آخر أسبوع تحديداً تقوم بنشر منشورات حزينة معظمها عن الموت والوداع!

تبادل أحمد وقصي النظرات البلهاء وقدرتهم على فهم طبيعة تلك الفتاة المشاغبة تتلاشى تدريجياً...

تكلّم أحمد متسائلاً :
- كيف ومتى فعلتِ كل ذلك؟

صاح قصي غاضباً :
- والسؤال الأهم هنا " لماذا" ألم آمركِ أن تظلّي بعيدة بينما أنظر في أمرك.

أجابته بحماس يتزايد كلما تحدثت:
- انتظر قليلاً.. مريم حسن السكري، خمس وعشرون عاماً زوجة محمد بسيوني العامل بشركة كهرباء بمحافظة السويس يبلغ من العمر ثلاثون عاماً يسافر للعمل ثلاث أسابيع ويعود للقرية أسبوع وهو بعمله في السويس الآن لكنني أرسلت في طلبه ليأتي مباشرة فور عودته، نعود للضحية: مريم خريجة ثانوية تجارية واستكملت تعليمها بمعهد فني تجاري وهذا ما جعلها تتزوج وعمرها أربع وعشرون عاماً.

أعجب قصي بكفاءتها وانخرط معها في الحديث متغاضياً أمر إهانتها له، و قال بجدية:
- أحمد.. الهاتف الخاص بمريم بحوزتك؛ أمامك من الوقت ساعة واحدة لفتحه أمامي دون أي تشفير أو كلمة سر واحدة مفهوم؟
أجابه أحمد بثقة:
- بالطبع سيدي والهاتف أسهل بكثير من الحاسوب!

تمكن أحمد من فتح هاتفها والوصول إلى كل ما كان عليه حتى الذي مسحته أعاده بنجاح، هتف بأسف بعدما اطلع على بعض التفاصيل:
- للأسف سيدي لديّ أخبار مزعجة.

* * * * * * * * * *

samar raeb

الفصل الثالث

تقدما نحوه أنصتا إليه بلهفة حين قال:

- مريم كانت تخون زوجها سيدي!

شهقت ديما واضعة كفها فوق فمها، صاح قصي بعصبية:

- أكمل لماذا توقفت.

تنهد أحمد بعمق ثم قال بخجل:

- والجنين بأحشائها ليس ابنه أيضًا!

زادت تعابير وجه ديما التي تعبر عن عدم التصديق، هتفت بتعجب:

- هل انت متأكد من حديثك هذا؟

أجابها أحمد وهو يرفع نظارته فوق انفه باضطراب:

- للأسف متأكد.. حساب مجهول لكنه باسم مختلف عن المرة السابقة أرسل لها نصًا" أعلم عنكِ كل شيء؛ تستطيعين القول بأنني قدرك الذي لن تقدري على الهروب منه، أيضا أُفَضل أن تسميني بجلادك الذي سيحاكمك على افعالك الحقيرة، امرأة متزوجة حديثًا حتى الآن مازال بجوارها من يبارك وينتظر

samar ragab

مولودها بفرحة ولو علم أحدهم حقيقتك لود أن يقتلكِ مائة مرة في الدقيقة الواحدة!

أمامك أسبوع واحد فقط لتقتلي نفسك قبل أن تقتلكِ الفضيحة ويلاحقك العار أنتِ وذلك الطفل بأحشائك؛ طفل الخطيئة في فراش الخيانة!

إن لم يقتلك زوجك سيقتلك أهلك وإن لم يقتلوكِ ستقتلكِ نيران ذنبك الذي سيدنو من حياتك كدنو الأجل من مريض تهالكت كل السبل أمام الأطباء لإنقاذه!

عقب قصي علي حديثه قائلا بتساؤل:

- وهل استطعت الوصول للشخص الثالث بالقصة "عشيقها".

أجابه أحمد بنشاط:

- الهاتف الحديث فارغ تمامًا من أي محادثات بينهما لا يحتوي على أي شيء هام عدا عن تلك الرسالة التي قرأتها توًا، لكن ذلك الهاتف الصغير كارثة بحق! كل محادثاتها ومكالماتها مع عشيقها قد استطعت أن أعيدهما بعد أن نظفته هي تمامًا، بالطبع زوجها لا يعلم عنه أي شيء!

هتفت ديما بحماس يبرز من مقلتيها:

- مرحى! هكذا يكون العمل، إنني حقًا أُشيد بكفاءتك وعبقريتك يا أحمد، الآن يجب أن نستدعي زوجها للتحقيق معه وعشيقها هذا نقوم باحتجازه لحين النظر بأمره بهدوء.

اغتاظ قصي منها، قاطعها بسخرية:

samar ragab

- "هاه" وماذا أيضًا سيدتي؟ هل تأمرين بشيء آخر؟

شعرت ان حماسها الشديد أفقدها جزءًا من الأدب فاعتذرت قائلة:

- بالطبع لا؛ لقد أخذني الحماس فقط لكنني لا أقصد أي شيء بالتأكيد الكلمة الأولى والأخيرة لحضرتك هنا.

ضغط قصي على الجرس الموجود اعلى مكتبه فدخل إليه العسكري، أمره أن يأخذ معلومات عن الشخص المطلوب من أحمد ويجلبه إليه في الحال ولا يعود إلا به.

* * * * * * * * * * *

وجه قصي نظره إلى ديما، قال بهدوء:

- لابد أن ترتاحي وتتناولين الطعام، سأطلب من العسكري أن يأخذك إلى البيت، ارتاحي ثم عودي في الوقت الذي ترغبين به، ومن اليوم ذلك العسكري سيكون مكلفًا بإيصالك إلى أي مكان تودين الذهاب إليه.

شعرت ديما أنها بالفعل تحتاج لراحة أو على الأقل تحتاج أن تتحمم وتبدل ملابسها فوافقت على شرط أن تعود سريعا قبل وصول الشخص المطلوب للتحقيق!

* * * * * * *

samar ragab

وصلت ديما الى المنزل برفقة العسكري، طلبت منه الانتظار بالسيارة خارجًا بعض الوقت، أخبرته انها لن تتأخر بالداخل، تحممت وأعدت كوبًا من القهوة، ذكرت أنها لم تأكل أي شئ منذ الصباح، قررت أن تشرب القهوة ومن ثم تبتاع أي شئ لتأكله قبل أن تعود للعمل.

توجهت إلى ردهة المنزل لشرب القهوة، فوجئت بـ "صينية " كبيرة مغطاة بقماشة بيضاء نظيفة تحتوي على أطباق كثيرة دجاج وملفوف وحساء، صرخت معدتها جوعا أكلت حتى امتلأت معدتها، ثم ذهبت لترتدي ثيابها للخروج.

اختارت بنطالا من القماش تتعدد به الجيوب لونه أبيض وقميصًا قطنيًا بالكاد يغطي كتفها لونه زهري، حذاء ابيض بخط جانبي من اللون الزهري " كوتشي "، رفعت شعرها بعشوائية أعطته مظهرا رقيقا للغاية.

توجهت إلى قسم الشرطة، دخلت مكتب قصي فوجدته جالسًا على كرسيه وقدميه على المكتب معيدًا رأسه إلى الخلف ليستند على طرف المقعد، كان يغط في نوم عميق.

كذلك احمد ممددا على المنضدة المقابلة للمكتب متلذذًا بنوم أعمق،

جلست بجوار أحمد بهدوء خشية ان توقظهما، سحبت الملف من يد أحمد بحذر لتشغل نفسها بتفحص أركان القضية الأولى مرة اخري، حاولت ربطها بالقضية الثانية فكما يتضح أمامها أنه مما لا شك فيه أن المحرض على الانتحار شخص واحد نَصَب نفسه قاضي وجلاد فوق رؤوس الناس!

samar ragab

طرق العسكري الباب فاستيقظ قصي بفزع واعتدل في جلسته بسرعة، قال وهو يمسح وجهه كي يفيق:

- تفضل بالدخول.

دخل العسكري، أدى التحية، قال بجمود:

- المدعو حسين عبد السلام بالخارج سيدي.

نهضت ديما، وضعت يديها في جيوبها بثقة وقالت بثبات:

- اطلب منه الدخول فورًا.

التفت اليها قصي متعجبًا، حدث نفسه قائلا:

- متى أتت تلك!

فهمت ديما نظراته وصاحت بذكاء:

- نعم أنا هنا منذ مدة لكنني لم أود أن أزعجكما، ما يهمنا الآن..

اشارت بيدها للعسكري لكي يجلب المدعو فزمجر قصي بغضب ارعبها:

- انتظري أيتها الفتاة.

وجه بصره الى العسكر ثم تابع بغضب:

- ممن تأخذ أوامرك يا عسكري؟ الآنسة ليس لها أي دور هنا إنها متدربة لا قيمة لها بيننا أتت لتتعلم منا، اخرج الآن وعندما آمرك بالدخول تأتي ركضًا!

samar ragab

استيقظ احمد بسبب ارتفاع صوت قصي، فرك عينيه، قال ببلاهة:

- ماذا.. ماذا هناك؟

نهض قضي والشرر يتطاير من عينيه، توجه إليها ومازالت على ثباتها واضعةً كفيها في جيوب بنطالها، شامخة كالجبال، ناظرة إليه بتحدي ضاعف غيظه منها، كور قبضته فرأته ورفعت رأسها بتعالي مضاد لما بداخلها من خوف كبير لغضبه الزائد عن حده.

استوعب احمد ما يحدث حوله فنهض بسرعة ووقف بينهما ليهدأ الأمور قليلًا، لكن ديما تحدثت بثقة:

- ابتعد يا أحمد واتركه يصب جم غضبه فوقي ويترك القضية وما نحن هنا بصدده، بالطبع فهنالك فارق عظيم بين مُعطِي الأوامر ومتلقيها، إنك نرجسي قديم الطراز، أنصحك بأن تطور من نفسك ولو قليلًا واعمل بروح الفريق لكي نستطيع حل ألغاز تلك القضية يا حضرة الضابط العظيم!

تنهدت بعمق قبل أن تكمل قائلة بصوت واثق:

- ان كان هذا ما تريد" السمع والطاعة" فلك ما تريد سيدي وليكن، بالنهاية فإن عملي أهم من المظاهر الكاذبة والألقاب البالية!

أدبته ديما بهدوء فاق قدرته على التحمل، لم يتوقع ابدًا أن تكون بتلك العقلية الكبيرة رغم صغر سنها!

samar ragab

صدح صوته الداخلي محدثًا إياه بتساؤل:

- من اين اتيتِ بكل ذلك الجبروت ايتها المشاغبة الصغيرة؟ ها أنا الآن أقف أمامكِ كتلميذ الصف الاول استمع إلى درسي بكل انصياع، ماذا تفعلين بي من اليوم الأول للقائنا أكاد أقسم بكل ما املك أنني لم ولن أرى مثلك في حياتي إنهن مدللات طامعات فارغات، اختلفتِ واختلفَ معكِ كل معنى اعرفه عن النساء!

لم يحب أن يخسر أمامها من أول جولة، صرخ مناديًا على العسكري ان يدخل المدعو حسين" عشيق الضحية الثانية"، ثم نظر إليها وعينيه تشع بغضب، هتف وهو يضغط على أسنانه:

- لم تنتهي الأمور هنا، حسابنا سيأتي لاحقًا، هيا إلى عملك.

* * * * * * * * * * *

س: اسمك، سنك وعنوانك؟

ج: حسين عبد السلام حسنين، ثمانية وعشرون عام، العنوان (.....)

س: ما هي علاقتك بمريم حسن السكري؟

ج: لا يوجد أي علاقة سيدي، كانت جارتي قديمًا ثم تزوجت وتركت الحي.

samar ragab

س: هل هذا هو رقم هاتفك؟

ج: نعم سيدي هو.

صرخ قصي بوجهه وحثه على الانضباط وعدم المراوغة، قاطعته ديما قائلة بهدوء:

- أستاذ حسين ليس هناك أي داعٍ للتمويه، نحن نعلم جيدًا بأنك ومريم كنتما على علاقة عاطفية غير شرعية ونعلم أيضًا نتاجها، تحدث بما لديك أفضل من أن تلبسك الجريمة.

ارتبك حسين، بدا على قسمات وجهه إمارات الخوف والفزع فقال بذعر:

- جريمة!! أي جريمة أنا لم أقتلها، أقسم لكم بذلك، لكن الناس يقولون بأنها انتحرت!

جلست ديما على المقعد المقابل له، وضعت ساقٍ على الأخرى، قالت بثقة:

- وهل يعُقل أن يعلم الناس أكثر منا؟

أجابها قصي بنفس الثقة:

- اتركيه على راحته، يبدو أنه يحب أن يكون ضيفنا الذ نعلم جيدًا كيف نكرمه.

نطق حسين بهلع:

- اقسم لك سيدي أنني لم أقتلها، كنت أحبها كثيرًا فكيف أقوم بقتلها؟ لقد اختلفنا وتوترت الأجواء بيننا منذ يومين فقط لكنني لا...

samar ragab

قاطعه قصي بعصبية:

- ما هو سبب الخلاف تحدث؟

ارتعد حسين خوفًا، عاد بظهره الي الخلف لكي يهرب من خوفه من قصي، قال بصوت مهزوز:

- سأتحدث سيدي سأتحدث، كنت أتردد على شقتها وزوجها مسافر و....

صرخ به قصي:

- وماذا انطق يا هذا؟

اشارت له ديما ان يهدأ وقالت:

- اهدئ يا حضرت الضابط لنفهم بهدوء ما حدث بالضبط.

ثم وجهت نظراتها لحسين قائلة برفق:

- تكلم يا حسين لا تخف.

اجابها حسين باستحياء:

- كان بيننا علاقة غير شرعية بعد أن زَوَجَها والدها من محمد رغمًا عني وعنها بعد قصة حب دامت لسنوات، فما كان لنا سوى اللقاء سرقة كلما سافر زوجها للعمل، أخبرتني أكثر من مرة أن الجنين برحمها طفلي أنا وسَبَبَّ هذا خلاف مستمر بيننا في الآونة الأخيرة لكنها لم تمل من تلك القصة، كان شعورها بالذنب يقتلها كل دقيقة لأنها خائنة ومخادعة، وبدلًا من أن يُكتب الطفل باسم أبيه الحقيقي سترتكب ذنبًا آخر وتقوم بالافتراء والتدليس ليعيش زوجها مع طفل ليس من صُلبه!

samar ragab

آخر مرة رأيتها كانت كئيبة وكل حديثها عن الموت والفراق، لم تتحمل أعصابي كل تلك الجرعة الوافرة من السواد المحيط بها، غادرتها مهددًا إياها بعدم العودة لها مرة أخرى إذا ظلت على تلك الحالة.

استأذن حسين كي يروي حلقه الذي جف من التوتر، أعطته ديما كوب الماء، شرب بنهم كأنما جفت كل أجزاء جسده، شرع في مواصلة حديثه فقال بحزن وقد اغرورقت مقلتيه بالعبرات:

- عندما سمعت خبر موتها ظننت أن زوجها قد علم بأمرنا وقام بقتلها! حاولت التقصي عن الأمر بحجة أنها كانت جارتي ويهمني أمرها أخبرني بعض الجيران أنها انتحرت وزوجها لم يعلم عنها شيء بعد!

هنا صاح أحمد بتساؤل:

- كيف كانت طريقة التواصل بينكما؟ هل كانت مكالمات او رسائل نصية أم محادثات على أيٍ من مواقع التواصل الاجتماعي؟

أجابه حسين بتوتر وهو يمسح العرق المتصبب على جبهته:

- كانت تحذرني كثيرًا من إرسال الرسائل أو أي تواصل كان، جلبت لها هاتف صغير قديم لكي نتحدث عليه بين الحين والآخر دون معرفة زوجها عنه أي شيء.

دنا منه أحمد أكثر حتى بات القرب بينهما يوحي بالتحدي والغرابة، هتف أحمد بنبرة ذات مغذى:

- ما الذي جعلها تحذرك من محادثتها على هاتفها الآخر؟

نظر له حسين بارتباك وقال متلعثمًا من قربه المخيف منه:

samar ragab

- كانت قد أخبرتني أن زوجها كلما عاد من عمله أول شيء يفعله هو التفتيش بهاتفها والبحث في كافة برامجه وتطبيقاته حتى الرسائل الخاصة مع رفيقاتها كان يقرأها بالكلمة والحرف، وكان يهددها دائمًا بعدم محو أي شيء لأنها حتى لو محته فهو قادر على اعادته مرة أخرى!

ضيق احمد ما بين حاجبيه، ثم نظر إلى قصي قائلًا بثبات:

- قد انتهيت من الأسئلة الخاصة بعملي سيدي، أشكرك على منحي الوقت.

نظر قصي ل ديما نظرات تنم على احترامه لها ففهمت أنه يتأكد من رغبتها في توجيه مزيدا من الاسئلة الي حسين فهزت راسها بالنفي.

فهتف بجمود:

- اذهب لبيتك واعلم بأنك تحت النظر والنفس الذي يخرج من صدرك مُراقب، وإن أردناك أتينا بك قبل أن يرف جفنك.

تنفس حسين الصعداء، نهض مؤديًا تحية احترام عسكرية بيده وخرج مسرعًا من المكتب.

هتفت ديما بحماس:

- أحسنت يا أحمد أسئلتك كانت رائعة.

اغتاظ قصي من حديثها مع أحمد مقابل اهمالها له، قال بحدة:

من المفترض بأن لدينا أعمال نقوم بها وقضية محيرة تحتاج وقتنا، هل سنظل نصفق لبعضنا البعض ونترك أشغالنا!

زفرت ديما بضيق فقدرتها على تحمله اوشكت على النفاذ!

samar ragab

اجابه احمد بارتباك:

- بعد إذنك سيدي سأذهب لأجلب كوبًا من القهوة لأنني بحاجتها كثيرًا.

نهضت ديما وقالت بلا مبالاة:

- انتظرني أحمد.. خذني معك.

انتظر قصي حتى خرجوا من المكتب، طرق بيده على المكتب بعنف فكلما حاول الاقتراب منها أبعدها، لا يعلم لما يحاول الاقتراب منها لكنه يشعر بأنها تجذبه إليها كمغناطيس قوي الجاذبية، مر على معرفته بها يومان لكن بدت الدقائق بقربها كأنها سنوات!

وتطرق باب قلبك تلك الدقات التي تثبت لك سطوة الحب عليك وتعدها مرارًا وتكرارًا بأنك لن تسمح لها بالمرور حتى من ذلك الثقب الذي لم تستطع بأية طريقة أن تصلحه وكأن قلبك يهتف بشدة؛ اتركها تتسرب إليّ فأنا أحيا بها وأنعم وإن كانت قاتلتي فلا أهتم!

* * * * * * * *

توجه أحمد وديما الى الساعي، طلبت ديما منه باحترام كوبين من القهوة، اعترض أحمد قائلًا بود:

- اجعلهم ثلاث أكواب يا عم جميل.

samar rogab

صاحت ديما بغضب:

- أتود أن تحضر له القهوة! اتركه ولا تعره أي اهتمام لأنه لا يستحقه، يعاملنا كالعبيد وللأسف مضطرين للتعامل معه!

أعاد احمد نظاراته للخلف وقال بضيق:

- قصي باشا اكفئ ضابط ممكن ان تهديكِ الظروف فرصة العمل معه! لو قمت بتجربة شخص آخر غيره لعلمتِ الفرق، عندما أبلغوني بأنني سأعمل معه تحديدًا لم أتمالك نفسي من الفرح وأتيت ركضًا إليه، أنصحكِ بألا تثيري غضبه فهو على قدر طيبة قلبه يكون بركان غضبه.

وضعت ديما يديها في خصرها وهزت راسها باستهزاء وقالت:

- أوه! أثرت في نفسي الريبة، من أين لك أن تعلم بكل ذلك؟

اجابها بهدوء:

- سأقص عليكِ من البداية.. منذ فترة ليست بالقليلة هنا في البلدة؛ كانت النيران تأكل الأخضر واليابس بمنزل امرأة بسيطة قد مات زوجها وترك لها خمس أطفال وطفل منهم هو من تسبب بالحريق حيث لعب بالكبريت ليلًا والبقية نيام ، خرجت المرأة صارخة بكل قوتها حتى تجمهر أهل البلدة أمام منزلها، آنذاك كان قصي بمنزله بإجازة مرضية امتدت لأسبوع بسبب إجرائه لاستئصال الزائدة الدودية، خرج مثل باقي الأهالي على صوتها، رآها تصرخ وتضع الرماد على رأسها وعلى لسانها كلمة واحدة " ابني بالداخل" لم يتجرأ أي رجل من الغوص داخل الحريق لإنقاذ الطفل ورجال الإطفاء قد تأخروا في الوصول إلى الحريق.

samarragab

الشخص الوحيد الذي اخترق ألسنة النيران دون تردد أو خوف هو قصي، كل الأنظار كانت تقول له بأنك مجنون لن تخرج منها مرة أخرى يا مسكين، بعد برهة من الوقت خرج حاملًا الطفل على كتفه، لو تلاحظ عيناكِ أثر الجرح بيده ستعلمين كيف تضررت يده اليمنى من ذاك الحريق، حتى أن جرح العملية الجراحية قد التهب ولازم فراشه في المشفى لوقت طويل!

ذلك موقف من ضمن المواقف لو قصصت عليكِ المواقف الأخرى لن تكفيني ساعات اليوم، فله مع كل شخص في البلدة موقف يشرح بسالته وشجاعته ورقة قلبه وطباعه!

قاطعه الساعي قائلا:

- ليت الناس كلها مثله يا ابنتي، منذ أن عمل قصي "باشا" هنا ويحترمني الكبير قبل الصغير، لا يسمح لأي شخص بإهانتي وحتى غضبه يعلو ويرتفع ثم في دقائق يتلاشى مع الرياح.

أكمل احمد حديثه:

- مع احترامي لكِ، أود أن أخبركِ بشيء صغير، لا تظنِ أن رتبة عمك هي السبب في صبر قصي عليكِ، أبدًا إنه لا يهاب سوى خالقه، أن أعلم جيدًا أن صبره عليك بسبب توسمه فيكِ الذكاء وقوة الشخصية وهو يحب أن يعمل مع من هم مثله مع الأقوياء فقط!

وقسوته عليّ لأنه يريد أن يجعلني صلب قويّ معتاد على قسوة العمل في مكاتب التحقيقات!

تعجبت ديما من فهمه الزائد عن الحد لشخصية قصي فقالت بتساؤل:

-وكأنك تعيش معه! كيف لك ان تكون واعيًا لشخصيته وطباعه إلى هذا الحد!

samar ragab

ابتسم أحمد وقال بحب بالغ:

- نعم بالفعل أعيش معه!

لكن لا أحد هنا يعلم أنني أعرفه، لم يتوسط لي على العكس تمامًا تفاجئ بوجودي وحاول أن يختبرني أكثر من مره لكي يقصيني عن المهمة، ذاكرت واجتهدت حتى أصبحت مؤهلًا للعمل هنا، حتى الآن مازال قصي يعاملني كأنني شخص غريب عنه تمامًا ولم يشد بأي شيء أقوم به!

تعلمت منه فصل الأمور الشخصية عن العمل، أتعامل معه بنفس طريقته وكأنني لا أعرفه!

ركزت ديما معه وهي تتعجب مما تسمع، لحديثه الغريب، قالت بتساؤل:

- هل أنت شقيقه؟

هنا هتف الساعي:

- قد أصبحت القهوة جاهزة يا شباب.

اضطرا لإكمال حديثهما وهما في طريقهما للمكتب حيث قال أحمد بامتنان:

- لسنا أشقاء، قصي ابن خالتي، والداي قد وافتهما المنية في حادث سير، وكنت ولدهما الوحيد المدلل، طمع عمي بالإرث جعله يستضيفني حتى يستحوذ على المال ثم يلقيني بملجأ أو شيء من هذا القبيل!

كان قصي بوقتها ضابط حديث التخرج، وقف بوجه عمي وأخذني منزله كنت آنذاك طفل في الابتدائية تلمع عيناه كلما رأى بطله المنقذ، كل عالمه ذاك من مد كفيه لسحبه من غياهب الجُب!

منذ ذلك الحين وأنا أعيش بمنزله حتى عندما طلب نقله إلى هنا منذ سنوات لم يتركني برغم أنني أصبحت شابًا يستطيع الاعتماد على نفسه كما ترين لم يتخلى عني، قام بتربيتي واحتضاني، لو قدمت له روحي قليل عليه!

samar ragab

أُعجبت ديما بشخصية قصي الخفية عن الأنظار، حزنت لأنها حكمت عليه من ظاهريته فقط، قررت ان تتعامل معه بلطف وود!

الفصل الرابع

دلفت ديما إلى المكتب يتبعها أحمد ليقع بصرها على قصي الذي يتحدث مع عسكري يكبره عمراَ، كان يحدّثه باحترام وتهذيب رغم اختلاف السلطة بينهما، دنت منهما لتعرف عن أي موضوع يتحدثان، سمعت العسكري يطلب منه الذهاب إلى زفاف نجله الأكبر غداً ، رآهم العسكري فطلب منهم الانضمام؛ ملحّاً عليهم أن يوافقوا فكان له ذلك.
خرج العسكري فرحاً ، هتف قصي بجدية:
- تناولا قهوتكما سريعاً فأمامنا الكثير من العمل، زوج الضحية الثانية على وشك الوصول، من كان منكما لديه أي سؤال فليجهزه.

أرسلت ديما إليه ابتسامة عذبة رقيقة جعلت دقات قلبه تتسابق، لكنه لم يفهم سر التحول الودود الذي أصبحت عليه في دقائق معدودة، كانت نظراتها عدوانية تود الانقضاض عليه للنيل منه بأي طريقة، تبدلت لتصبح نظرات تحمل الكثير من الحديث الذي لم يفهمه!

زاغت نظراته، اضطربت أنفاسه، تنحنح بحرج قائلاً :
-أحمد.. اسمعني أريد منك كشف مفصل بكل مكالمات مريم وزوجها حسين في الآونة الأخيرة.

أجابه أحمد باحترام:
- عُلِم ويُنَفذ سيدي.. لكن هل يمكنني معرفة ما يدور بعقلك لكي نكون على تواصل فكري مع بعضنا؟

صاحت ديما بحماسها المعتاد:

samar rabah

- أنا أخبرك أحمد.. المرة السابقة في قضية حسان كان المُحرض الخفي على الانتحار يعلم كل شيء عن حياة وأفعال حسان من خلال الفيسبوك لكن هذه المرة لا يوجد أي شيء قد يدين مريم من خلال كافة مواقعها للتواصل فكيف توصل المجرم لما تفعله مع عشيقها؟! لم يكفّ ذلك السؤال عن الغوص داخل عقلي وأنا متأكدة من أن قصي باشا يفكر بنفس الطريقة!

هتف قصي بإعجاب:
-بالضبط.. هذا ما يجول في خاطري بالفعل.

صاح أحمد وكأنه تذكر شيئاً هاماً :
- سيّدي لابد أن أتفقد هاتف حسان مرة أخرى، من الضروري أن يكون الهاتف بحوزتي حالاً !

أرسل قصي في طلب أولاد حسان على الفور!

من النظرة الأولى لزوج مريم تبين لهم أنّ دموعه المتساقطة بلا توقف ، وحزنه الكبير عليها، كان صادقاً تماما، لم يرغب أي منهم في كشف سرها أمامه رغم تيقنهم التام أنها تستحق الذبح!

كالعادة بدأ قصي التحقيق بثبات واحتراف:
- اسمك وسنك وعنوانك؟

بصوت مختنق مهزوز أجابه محمد:
- محمد بسيوني، ثلاثون عام، العنوان (.....)

س: منذ متى وأنت خارج القرية؟

ازدادت عبراته بالسقوط، ارتفع صوت نحيبه، ضاقت أنفاسه ليستطيع بعد ذلك أن يجيب بصعوبة :
- أسبوعين فقط!

samarragab

س : في الآونة الأخيرة هل كان بينكما أي خلافات؟

أجابه بحزن :
- لا.. لم أحزنها يوماً وكل احتياجاتها تُلَبى، كانت تأمر وتُطاع.

هتفت ديما بجمود:
- ما مدى ثقتك بها؟

ابتلع محمد ريقه بصعوبة وقال بقلق:
- ما قصد سيادتك! بالتأكيد كنت أثق بزوجتي ولا أفهم ما الداعي لذلك النوع من الأسئلة الآن!

صاح قصي بجدية:
- أستاذ محمد أنت هنا لتجيب على كل تساؤلاتنا فقط، غير مسموح لك بأي اعتراض، كن على ثقة بأن كل ما نسألك عنه في صميم القضية، نحن بصدد قضية انتحار لا نعلم أسبابها حتى الآن، كن متعاوناً وإلا طريقتنا في جعلك كذلك لن تعجبك على الإطلاق!

أخذ نفسا عميقاً أخرج ما استطاع من الطاقة السلبية المتحكمة بصدره وقال:
- حسناً.. لم أكن لأشك بها يوماً لكنني أسمع الكثير من قصص الخيانة وغيرها وتتردد على مسامعي حكايات مريرة عن نتائج تغيب الرجال عن زوجاتهم لفترات بعيدة ، كان لابد من السيطرة على أوضاع منزلي أنا أعلم الفرق بين ما أسمعه وبين ما يمكن أن يحدث في عقر داري بالنهاية كل دار ولها مدار لكن دائماً الحرص واجب مفروض على كل رجل تحمل دماؤه نخوة ورجولة!

مسح عبراته بكفه ثم أردف قائلاً بفخر لو علم أنه آخر شخص قد يمتلكه لجن جنونه:

- الجدير بالذكر أنني لم ألحظ أي شيء ، كل الأشياء من حولها كانت نظيفة، ولم أشك بطهارتها يوماً، زوجتي كانت وفيّة ومحترمة!

وصل الغيظ بقصي إلى الذروة فقال بنفاذ صبر:
- في اعتقادك ما السبب الذي يدفع شابة في مقتبل عمرها مثل مريم للانتحار؟ هل لاحظت أنها غير سعيدة معك؟ هل طلبت الطلاق من قبل؟

نظر إليه محمد بعدم فهم، هتف نافياً :

-أبداً لم يسبق لها أن طلبت ذلك إطلاقاً ! ولم تظهر لي أنها منزعجة من العيش برفقتي على الإطلاق، لكن...

صاحت ديما بلهفة:
- لكن ماذا تحدّث؟

استرسل محمد في حديثه قائلا محاولاً تجميع مواقفها الأخيرة:
- منذ فترة وحالها متغيّر ، شاردة معظم الوقت، وكأنّها تحمل جبال من الهموم على صدرها، وكانت دائماً ما تنسى كل شيء حتّى أنّها كادت أن تحرق الشقة بسبب شرودها عن الطعام الذي كانت تطهوه مرّة ! أقنعت نفسي أن كل ذلك وارد وطبيعي في فترة حملها وأخذتها إلى الطبيب فأخبرني أنها بحاجة لأن تبتعد عن الضغوط النفسية وتهتم بصحتها قليلاً، بالفعل فعلت كل شيء لكي أجعلها مرتاحة دائماً حتى أنني وعدتها بأنني سأعود من عملي ذلك اليوم وبحوزتي طلب الإجازة الطويلة الموافق عليه من رب عملي، وسأجلس تحت قدميها حتى تضع مولودنا الأول بسلام!

غمغمت ديما متسائلة بنبرة آسفة:
- استاذ محمد.. كيف تعرفت على زوجتك وتمّ الزواج بينكما؟

أجابها محمد وهو يبتسم بمرارة:

samar ragab

- طلبت يدها من والدها وانتظرت يومين كما طلب مني وبعدها فوجئت باتصال منه يخبرني بالقبول من طرفها، زواج تقليدي عادي، كانت تحدث بيننا خلافات عادية مثل أي زوجين لكنني لم أهنها يوماً ولم أتخيّل أن تصل لمرحلة الانتحار، سأموت جنوناً من تزاحم الأفكار برأسي لِمَ فعلت بنفسها هذا لِمَ؟

وجّه إليه قصي سؤالاً مفاجئاً :
-حاول أن تصف لنا طبيعة الخلافات بينكما؟

أجابه محمد بتعب:
- خلافات تافهة للغاية، أغلبها مثلاً " لِمَ تقفين في الشرفة دون حجاب، لماذا تتحدثين مع هذه وتلك، لِمَ تأخرتِ بالخارج وأشياء من هذا القبيل!

رفعت ديما حاجبيها ونظرت إليه بضيق وقالت:
- وهل أعتبر ذلك قلة ثقة بها أم بنفسك؟

أجابها بغيظ :
- لا.. إنها رجولة وغيرة على أهل بيتي ، هي كانت تفكر بأنني أتحكم بها وأضيق خناقها لكنني كنت دائماً أغار عليها وأحافظ على حُرمتها!

بعد الكثير من الأسئلة الموجهة إليه انتهى التحقيق وأخبره قصي أن يكون بالقرب منهم لأنهم سيرسلون في طلبه عندما يحتاجون إليه.

* * * * * *

samar ragab

حرّك قصي رقبته بتعبٍ شديد، رأته ديما ، أشفق قلبها على حاله، و هتفت برقة:
- لابد أن ترتاح سيدي ، لم تنم منذ وصولي إلى هنا، إن لبدنك عليك حق!

جابها بإرهاق:
- لابد من الراحة لنا جميعًا، هيا اجمعوا أغراضكم سنذهب لنبيت الليلة بمنازلنا ومن ثم نعاود العمل في الصباح الباكر.

الفصل الخامس

في صباح اليوم التالي..

استيقظت ديما على صوت الجرس الصادر من المنبه الموضوع على الكومود بجانب فراشها، أخذت حماماً بارداً، أعدت كوبا من القهوة الساخنة، صففت شعرها بعناية و أطلقت سراحه لينسدل بنعومة على ظهرها، اختارت بنطالاً من اللون "الزيتي" يعلوه قميصا قطنيا من اللون " البيج "، اكتفت بمنظرها الطبيعي ولم تضع أي شيء من مساحيق التجميل.

خرجت من المنزل ووجدت العسكري المُكَلف بنقلها ينتظرها أمام المنزل بالسيارة، توجهت معه فوراً إلى العمل، دخلت المكتب فوجدت قصي يشرب قهوته وهو يتفحص أوراق القضيتين بشغف، في بادئ الأمر استغربت نشاطه الممتد الفائق لأنها توقعت أن تصل أبكر منه لكن سرعان ما انخرطت معه على الفور، تمتمت بحماس:
- صباح الخير، هل أتيت باكراً؟

نظر إليها نظرة سريعة ليعقب قائلاً بلا مبالاة:
- صباح النور.. نعم أتيت مباشرة عقب صلاة الفجر.

جلست أمامه على واحد من المقعدين الموجودين امام مكتبه، داعبت أنفه رائحة رقيقة أغمض عينيه وراح يستنشقها باستمتاع حتى انتعشت روحه، فتح عينيه ونظر إليها باهتمام فوجدها تمسك بالأوراق وشعرها البني منساب حول خديها بنعومة، وكأنها لوحة رُسمت بدقة وإتقان فأبدع من تفنن بها حدث نفسه قائلاً :
- يا إلهي سبحانك خَلَقْت فأبْدَعْت ...!!

التفتت إليه فجأة لتسأله عن أمر في مجريات القضية، التقت عيناهما لقاء لحظي لكنه كان كفيلاً بأن يريها شعاع الإعجاب الذي ينطلق من مقلتيه والذي لا تخطئه عين امرأة، ارتبك وشعر بالحرج الشديد عندما أمسكت به متلبساً بجرم الغوص في ملامحها دون تصريح، أخفض رأسه مسرعاً ليعود للأوراق فهي ملاذه الآمن للخروج من ذلك الموقف المحرج، اعتلت ثغرها ابتسامة انتصار، لم تتحدث إليه لبرهة من الوقت وأعطته فرصة حتى يزول إحراجه.

وصل أحمد إلى المكتب راكضاً، فتح الباب بعد أن طرقه بأدب، اعتذر لقصي عدة مرات بطريقة مبالغ بها عن تأخره نصف ساعة فأمره قصي ألا يتأخر مرة أخرى أبداً مهما كانت الظروف!

مر اليوم بين تحقيقات ومناقشات ومطالعات متكررة لأقوال الشهود دون نتيجة واضحة.

عندما أسدل الليل ستاره على الأرض لم يمنعهم من متابعة العمل سوى تذكّر قصي للزفاف الذي دعاهم إليه العسكري في الأمس!
فأمرهم بالذهاب إلى المنزل لارتداء ثياب مناسبة للعرس، امتثلا لطلبه وذهب كل منهم في طريقه.

بعد مرور ساعتين:

وصل العسكري لمنزل ديما ليصحبها إلى العرس، كانت ترتدي فستاناً أسود لامع عاري الأكتاف تماماً بالكاد يصل إلى ركبتيها، لملمت خصلات شعرها فوق رأسها بتصفيفة تسمى «كعكة» بأسلوب مهندم، تاركة العديد من الخصلات

تهبط على جبينها بانسيابية، وضعت مكياج أسود حول عينيها فأبرز جمالها وروعة لونها العسلي
" سبحان من جعل سحر الدنيا في كحل عينيكِ الأسود ولونها البنيّ"، وأحمر شفاهها صارخ محدِّداً شفتيها بإتقان، بدت كحورية البحر الساحرة التي لو رآها أقوى وأعتى الملوك وقع أسيراً لجمالها!

وقف قصي يتحدث مع أحمد بتفاصيل العمل أمام منزل العريس ليضيع الوقت حتى تصل ديما للدخول سوياً، وتوجهت إليهما فور وصولها بخطوات رشيقة، نظرا إليها بانبهار جعل قصي يرغب بتخبئتها بين جفونه حتى لا تنظر إليها أي عين راغبة، أراد امتلاكها وستر جسدها الفتان، شبّت بقلبه نيران الغيرة القاتلة، اقتربت منهما، ألقت التحية بود فتفاجأت بردّ فعل قصي الذي صرخ في وجهها بغضب :
- ألا يشعر قلبك بالخجل يا امرأة! ما تلك الثياب الفجة الفاضحة؟ ألا تعلمين أنكِ هنا بقرية أترغبين بأن تأكلكِ العيون وتبلعكِ، أقسم أن جميع الحضور سيظنون أنكِ الراقصة التي سترقص لمن لا يرى لحم النساء الرخيص إلا في التلفاز!

خانتها قوتها وقدرتها للردّ على قسوة تعبيراته ولهجته اللاذعة التي لم يسبق و تحدّث شخص بها معها من قبل، كان وقحاً متعجرفاً جعلها تفقد فن الحديث لتلقينه درساً، واصل حديثه وهو يخلع سترته ويضعها على كتفها بطريقة مهينة:

- حالاً تعودين أدراجك وذلك اللباس الخاص بالراقصات لا أرغب برؤيته مرة أخرى، حافظي على عادات وتقاليد تلك البلدة واحترمي وجودك وسط أشخاص لا يفهمون تحرّر وانفلات مثيلاتك!

فزعت من صوته، تملك الغضب من جنبات صدرها، صرخت بوجهه بنبرة جديدة لم يسمعها منها من قبل ، تعبر تلك النبرة عن مدى جرحها الغائر من سوط لسانه الذي لا يرحم:
- من أنت لكي تتحدث إليّ بتلك الطريقة الخالية من الأدب؟ من أنت أخبرني؟ ليس لك أي سلطة على ثيابي أو طريقة حديثي أو اختياري لأي شيء كان، حدودك تنتهي خارج مكتبك، انتبه لنفسك جيداً لأنني أستطيع أن ألقي على أذنك كلمات ستجعلك تعيش عمرك كاملاً وأنت تحاول ترميم كرامتك ولن تستطيع!

خلعت السترة الخاصة به بقوة غاضبة، عنف، ألقتها بيده، أردفت صارخة بنبرة أقوى من السابقة:

- سأرحل من هنا لأنني أريد ذلك، بالعمل مجبرة على التواجد معك بنفس المكان لكنني الآن لست مضطرة للبقاء مع لسانك فقير الأدب!

تركته مذهولاً من طريقتها التي لم يحدّثه أحداً بمثلها من قبل، استقلت السيارة، طلبت من العسكري العودة بها إلى المنزل.

كم هي مؤلمة تلك العبارات القاسية حتى وإن كانت بدافع الغيرة أو الحب!

* * * * * * * *

طلبت من السائق أن ينتظرها بالسيارة قليلاً، ذهبت مسرعة إلى غرفتها، أخرجت من خزانتها فستاناً باللون الأحمر طويلاً أكمامه طويلة، لكنه يلتصق بجسدها فيبرز رشاقتها وجاذبيتها، خفّفت المساحيق من وجهها، أسدلت شعرها على ظهرها بعد أن أخذت خصلتين من كل جهة وربطتهم بربطة شعر رقيقة بالكاد تُرى من قرب.

عادت إلى حفل الزفاف وثقتها بنفسها بالغة الأثر، رآها قصي من بعيد تمشي بحذر تعتريها نظرات تدل على قلقها لأنها لا تعرف أحد من الحضور، اشتعل رأسه غضباً من تلك الفتاة العنيدة، رأى أن فستانها الجديد ألعن من السابق، حدث نفسه قائلاً:
- سيأكلها الرجال بأعينهم فهي تختلف كثيراً عن نساء القرية، لن يفهموا ذلك الاختلاف.

أطلق بعض الشباب صافرات تنمّ عن إعجابهم الشديد بها، منهم من تلفظ بألفاظ بذيئة، تجرّأ شاب وكاد أن يمسك بها باشتهاء بدى في صوته وهيئته، قبل أن تمسها يداه وجد ضربة قوية تُوَجّه إلى وجهه فهشمت أنفه، سقط في

مكانه وشعر بأن الأرض تدور به، حاول بعض أصدقائه التدخل ولكن أحمد كان لهم بالمرصاد فلم ولن يسمح بالبطش بقصي ابداً من قبل أي مخلوق كان!

انزوت ديما بعيداً غير مصدقة لما يحدث أمامها، شردت تفكر في حالها لو كانت دخلت بذلك الفستان القصير، تيقّنت أن قصي كان محقاً.
فاقت من شرودها عندما جُذِبت من يدها بعنف شديد، نظرت لتراه يضغط على أسنانه بغضب، شعرت بقوته ورجولته تكتسح وتحطم حصون قلبها التي شيدتها وظنت أنها ستحميها من أي رياح حب عاتية!

أفلت يدها من قبضته، لتهتز مكانها وهي تشاهده يوبخها بقسوة فاقت سابقتها ، زفر بقوة قبل أن يصرخ قائلا:
- ألا تفهمين يا فتاة؟ ما تلك الرأس التي تمتلكينها، أكاد أجزم أنها خالية من العقل لتقبع العصافير مكان تفكيرك! هل يعجبك ما حدث منذ قليل أجيبِ؟

أجابته بتحدٍّ :
- كفاك! أحببت فقط أن أثبت لك أن الثياب القصيرة والطويلة لا تشكل فارقاً ، ها أنا ذا أمامك ويغطي الفستان كامل جسدي، إنّما هي عقول من ينظر لا أكثر! هل تستطيع إخباري عن أجزاء جسدي العارية الآن، إنني مغطاة بالكامل.

نظر إليها بارتباك، جسدها ممشوق وكأن الفستان صُنِع خصيصاً لها، قال بعد أن تنحنح بخجل:
-ألا تشعرين أن الفستان ضيق للغاية؟ ثم إنّ العيب عيب هنا أو في أي مكان، يجب أن تشعري بالخجل قبل أن تخرجي بذلك الشكل أمام الرجال.

انفجرت بوجهه تصرخ بقوة مُستَفَزّة جداً من حديثه الجارح لها لأنها نشأت بمجتمع مختلف لا يعد به مثل تلك الثياب محرج أو ما شابه:
- ما شأنك أنت؟ هل أخبرك أحدهم أنك أصبحت ولي أمري، للمرة الثانية أقولها لك الزم حدودك يا هذا.

قطع صوت أحمد الصارخ حديثها وهو يلتقط أنفاسه من أثر الركض إليهم:
- قصي .. تم إبلاغي عندما لم يستطيعوا الوصول إليك عن حالة انتحار جديدة!

جحظت عيناه من الصدمة، وضع يديه على رأسه وعاد إلى الخلف خطوتين قبل ان يغمغم بضيق:

- ثم ماذا؟ هل سنترك الناس تموت واحداً تلو الآخر، أخبرني يا أحمد بالتفاصيل حالا تكلم.

أخبره أحمد بالعنوان فتحرك على الفور وتحركت معه ديما فتوقف ليمنعها قائلا بنبرة لا تقبل المناقشة:
- إلى أين تذهبين بذلك الرداء المقرف؟ بدّليه ثم الحقي بي.

أجابته بعصبية:
- لكن..

قاطعها بنظرة مباشرة إلى عينيها فألجمت قوة عينيه لسانها:
- لا مكان لـ لكن أو مثيلاتها، تلك أوامر رئيسك بالعمل هيا تحركي يا حضرة الضابط.

هتفت بغيظ وهي تؤدي التحية العسكرية:
- أوامرك سيدي !

توجه قصي وأحمد وبعض العناصر على الفور إلى العنوان المنشود..

تفحص قصي بعينيه الضحية الممددة بلا حول ولا قوة فوجد أنها جثة لشاب لم يكمل العشرين بعد، شرايين يديه وقدميه مقطعة بشراسة، حوله بركة واسعة من الدماء الجافة، يبدو أن موته مرّ عليه يوماً كاملاً!

لم ينتهِ الامر هنا، اكتشف العناصر في الغرفة المقابلة لردهة المنزل جثة أخرى!

شفاه زرقاء، جسد شاحب متجمد، عينان مفتوحتان على اخرهما، ذراعين ممدين باستسلام وفي احدى كفوفه " موس حلاقة " استنبط قصي عندما رآه انه كان يعزم على قتل نفسه هو الآخر ولكنه مات قبل أن يقوم بالتنفيذ، بجانب الجثتين أكياس تحتوي على مسحوق ابيض أكد الطبيب انها مواد مخدرة " هيروين "!

samar ragab

هتف قصي موجهاً سؤاله للطبيب:
- يتبين لي أنهما شابان في مقتبل العمر حتى أنني أظن انهما لم ينتهيا من تعليمهما بعد، ما الذي قد يدفعهما للانتحار؟ وهنالك سؤلك آخر يجول بخاطري ، من أين أتوا بكل تلك الأموال ليقوموا بشراء هذه المواد المخدرة باهظة الثمن؟

هنا تدخل أحمد قائلاً:
- قمت بسؤال صديقهما الذي أبلغ عن الحادث عنهما فأخبرني أن آبائهما أصحاب نفوذ ومراكز عالية وأموالهم لا تعد ولا تحصى!

أجابه قصي بجدية:
- أود أن أتحدث مع ذلك الشاب فوراً وكل أصدقائهما المقربين وبالطبع جميع الأجهزة الموجودة بالمنزل أنت تعلم بما ستقوم به أليس كذلك؟
ثم وجّه نظراته للطبيب مردفاً حديثه:
- أنتظر تقريرك بأسرع وقت ممكن، ليس لدينا متسع من الوقت ليموت المزيد، نحن نواجه سلسلة قضايا متصلة من التحريض على الموت ويبدو أن المحرض نفسه.

بعد قليل من الوقت حصل أحمد على كل المعلومات المطلوبة عن الشابين، أخبر ديما عبر الهاتف أن تلحق بهما في المكتب لتفعل الأخيرة ما طُلِب منها بعد أن بدلت ملابسها وارتدت ملابس رياضية "بنطالا قطنيا من اللون الرمادي بخط ابيض من الجانب وقميصا قطني يشبه البنطال، حذاء ابيض " كوتشي " رفعت شعرها بشكل عشوائي، قصدت بتلك الثياب البسيطة أن تبدو طبيعية جدا وغير متكلفة.

لم تنظر لقصي قط، تحدثت مع أحمد وسألته عن المعلومات الخاصة بالقضية الجديدة ليجيبها الأخير بثقة:
- زياد الحسيني؛ تسعة عشر عام وهو ابن منصور الحسيني رجل الاعمال الشهير بالطبع غني عن التعريف! كلية هندسة خاصة، شاب سيء الأخلاق والطباع لا يحب الدراسة أو المسؤولية عموماً ، تلك الأوصاف السابقة للشاب الذي قطع شرايين يديه وقدميه.

أما عن الآخر... لؤي منتصر ابن عضو مجلس الشعب ممدوح منتصر نفس عمر الشاب السابق ونفس الكلية ونفس المواصفات تقريباً!

هتفت ديما باستغراب:
- وما الذي أحضرهم إلى القرية من الأساس؟

أجابها قصي بثبات:
- هذا ما سنعرفه عند حضور صديقهما الثالث الآن.

لم تعره ديما اهتمام، حتى دخل الفتى وهو يحمل مئات الأحاسيس المختلطة بداخله " خوف حزن، فزع، قلق "جلس أمام قصي وديما بوجل فهتف قصي بسرعة:
س: الاسم والسن والعنوان؟

ج: نصر أحمد محمود السباعي تسعة عشر عاماً، من القاهرة ولا أنتمي لتلك القرية.

س: من مالك هذا المنزل؟ ولمَ أتيت إلى هنا طالما لا تنتمي إليها؟

اجابه نصر بقلق:
- المنزل لزياد وكنا نرتاد عليه من فترة إلى أخرى.

سألته ديما:
- لمَ التجمع هنا تحديداً بما أنكم جميعاً من القاهرة؟

اجابها وهو منكمش على نفسه برعب:
- لكي...!

هتف قصي بنفاذ صبر:
- لماذا تحدث؟

قالت ديما بهدوء منافي لحدة صوت قصي:
- تكلم يا نصر لا تخف نحن الآن لا يخصنا سوى موتهما فقط.

samar ragab

زاغت نظراته، ارتعشت يداه، لم يستطع الرد فأكملت حديثها بثقة:

- لكي تستطيعوا السهر وتناول الكحوليات والمخدرات بلا رقيب أو حسيب أليس كذلك؟

فرك كفيه بتوتر بالغ، لم يجبها واكتفى بالصمت ليهرب من شدة الضغط عليه، طرق قصي على مكتبه بقوة و صرخ، بغضب:
- تحدث لوحدك وإلّا جعلتك تتحدث بطريقتي الخاصة.

ارتعدت أوصاله، ابتلع ريقه بصعوبة، تمتم بنبرة خوف واضحة:
- سأتحدث سيدي سأتحدث.

استرسل في حديثه وهو يبكي:
- هذا المنزل لوالد زياد، كنا نجتمع به من حين لآخر، صحبة سوء مكونة من عشر شباب ومثلهم من الفتيات المنفلتات، نفعل كل شيء قد يقال عنه سيء أو مشين، كان عددنا يقل تدريجيا؛ منا من سافر ومنا انتقل لجامعة أخرى وأشياء مثل تلك، حتى لم يتبقَ من تلك الصحبة سوى نحن الثلاثة، كنا نجيء إلى هنا مع فتيات أو منفردين، كانت الأمور عادية للغاية، من فترة قريبة أرسل حساب وهمي رسائل تهديد لنا نحن الثلاثة على "الفيسبوك" الخاص بزياد وأرسل إليه أيضاً مكالمات ومحادثات مسجلة لثلاثتنا وأخبرنا بأنه لابد لنا أن ننتحر بأبشع الطرق لنكون عبرة لمن هم من أمثالنا وإلا فستكون الفضيحة هي نصيبنا!

باغته قصي بسؤال أفزعه:
- ما الذي يعرفه عنكم غير الذي أخبرتنا به؟

* * * * * *

الفصل السادس

تلعثم نصر، تصبب العرق من جبهته، وكأنه يخوض حرب شديدة الخطورة، قال بارتباك بعد أن جفّف جبهته بكم قميصه:
- لا يوجد شيء سوى ما أخبرت سيادتك به.

صاحت ديما بلهفة وهي تنظر لقصي:
- بعد إذنك سيدي؛ هل يمكنك تمكيني من قيادة الحديث للحظة واحدة فقط؟ هل حاولتم معرفة هوية المحرّض على ذلك؟ جائز أن يكون شخص عرفتموه قديماً، قمتم بأذيته مثلاً فحاول الانتقام منكم!
راح يتنفس وصدره يعلو ويهبط بسرعة، تسارعت دقات قلبه، زفر محاولاً تخفيف حدة توتره ثم قال بخفوت:
- لا أحد يعلم عنا أي شيء حتى الصحبة القديمة لأن...

= لماذا يا نصر تحدث، قصي باشا غضبه لا يحتمل أنا أحاول مساعدتك حاول أن تتحدث لأنني لن أستطيع مساعدتك عندما يغضب.

أغمض عينيه بتوتر وقال بنبرة مرتعشة:
- لأن ما نفعله لا يعلمه سوى ثلاثتنا! تلك الصور والمحادثات والتسجيلات كانت غريبة للغاية وكأنه شيطان بيننا وقت ارتكاب جرائمنا وهددنا بإفشاء السر فيما بعد.

وضعت ديما ساق على ساق واعتدلت في جلستها ثم قالت بثقة:
- نعم وما هي تلك الجرائم؟

ابتلع ريقه بإحراج وقال بصوت خفيض:
- لن أستطيع التحدث بها.
صاح قصي بتوعد:
- حسناً سأجعلك تستطيع.

صرخ نصر بترجي:
- لا... لا سأتحدث!

samar ragab

بدأ بسرد الأحداث القذرة التي كانت تحدث بذلك المنزل؛ أشياء يشيب لهولها الولدان... خطف واغتصاب الفتيات، الشذوذ بينهم، مواد مخدرة مختلفة التأثير والمصدر... التشهير بفتيات بريئات لإخضاعهن على الرضوخ لكل مطالبهم، ذلك المنزل كان حقاً مكان الشيطان المفضل على الأرض!

شعرت ديما بالتقزز، انقلبت معدتها إثر سماع تلك الأشياء العفنة، غضب قصي منه وكاد أن يضربه لولا أن هدأه أحمد الذي هتف متسائلاً:

- لفت نظري شيء هام، أخبرتنا أنه قد تم تهديد ثلاثتكم فلماذا لم تقدم على الانتحار مثلهم؟

أجابه نصر بخوف:
- لم نكن لننتحر من الأساس، كنا نرتب أمورنا للسفر خارج مصر إلى أن ينسى أمرنا هذا المجرم، كنا قد اتخذنا قراراً بأن نلاعبه ونجعله يندم على اليوم الذي جلبته أمه لتلك الحياة، كنا أيضاً سنتعاون مع خبير في " التهكير" وما شابه لمعرفة ماهيته ثم نلقنه درس عمره!

هتفت ديما بتعجب :
- هذا الحديث ليس منطقي! لمَ انتحرا وأنت ما زلت تتحدث أمامي؟ ، تحدث بوضوح أكثر لسنا صغار أمامك لكي تتصدق علينا بالكلمات الشحيحة تلك.

اجابها بغضب قليل:
- ارحموني أرجوك، يكفي لهذا الحد.

صرخ قصي بغضب أكبر:
- عسكري.. تعالى إلى هنا وخذ معك ذلك المتهم الوحيد أمامي الآن بتلك القصة وألقي به بين جدران السجن لحين أن يُرَد له عقله ويبدأ بقول الحقيقة.

صرخ نصر بهستيريا:
- لا.. أرجوك، أنا لست متهما بشيء سأنطق بما لديّ.

اعتدل قصي في جلسته وهدأت نبرته لتتحول إلى الثقة والرزانة:

samar ragab

- هذا أفضل لك.

قال نصر وهو يبكي بصوت مرتفع:
- في الليلة السابقة أخبرني زياد أنه سيأتي إلى هنا وسيلحق به لؤي، طلب مني إحضار ما اتفقنا عليه وأحضر إليهم في الميعاد لكني اعتذرت عن الحضور بالأمس وعلى اتفاق بيننا باليوم وعندما ذهبت إلى المنزل وجدتهم هكذا، شرعت بالصراخ حتى التف حولي بعض السكان المحيطين بالمنزل والذين بالمناسبة اعترضوا أكثر من مرة على سلوكياتنا السيئة لكن لؤي كان يهددهم دائما بمنصب والده!

قال قصي بترقب:
- وما هو الذي اتفقتم على احضاره لهم؟

قرض نصر اظافره باضطراب، لم تسعفه الكلمات فتلألأت بفمه، نظر قصي إليه بحدة أرعبته، نطق بسرعة كأنه يحفظ نصا ويلقيه بالترتيب:
- مخدرات وكحول و....

ضيق قصي حدقتيّ عينيه منتظراً البقية بإنصات، سعل نصر بشدة فأعطاه قصي كوباً من الماء، شربه دفعة واحدة، أكمل حديثه قائلاً بحذر:
- بنت بسيطة دخلت جامعتنا بمنحة دراسية، رآها لؤي وأعجبته كثيراً واستفزه طريقتها الجادة بالتعامل واختلافها عن ذويها من الفتيات المدللات، لا يهمها ثراءه الفاحش ولا منصب والده، لم يستطع الوصول إليها بأي طريقة من الطرق، فقرر أن من يستطيع إحضارها تحت قدميه فله مبلغ مالي ولقب شرفي ب " عمدة الشلة" روح المنافسة جعلتنا نصبح كمن لم يرَ مالاً بحياته برغم عدم حاجتنا له، خطر بعقلي فكرة شيطانية، صورتها أكثر من صورة دون علمها ثم عدلتهم " بالفوتوشوب" حتى أصبح ألبوم إباحي لفتاة عفيفة قد تموت قهراً من أول صورة!

هددتها بتلك الصور، أدخلت الرعب على قلبها، لم أستمع لندائها المتذلل بالرحمة، كنت أتلذذ بقدرتي الهائلة على السيطرة على الأمور من ناحية لؤي ومن جانب الفتاة أيضاً!
لم تجد الفتاة مفرّاً من الذهاب معي إلى حيث آمرها طوال الطريق إلى القرية وأنا أسمع توسلاتها ودعائها إلى الله، صوت بكائها ورجفتها كل هذا لم تهتز له شعرة

من شعرات رأسي ولا حتى حديثها مع الله لكي ينقذها منا، كنت أضحك عليها وأستهزئ به وأناديها ب " ست الشيخة"!

عندما وصلنا إلى المنزل، أغلقت عليها باب السيارة من الخارج، توجهت مباشرة لرفاقي كي أتفاخر أمامهم بنجاحي مقابل فشلهم!

وجدتهم على تلك الحالة فصعقت وجن جنوني ورحت أصرخ حتى مجيئكم ومازالت الفتاة بالسيارة حتى الآن!

نظرت له ديما باشمئزاز وقالت:
- حقير..!

أمر قصي بعض العناصر بالذهاب إلى الفتاة وإطلاق سراحها وإيصالها لباب منزلها بعد أخذ أقوالها.

بعد أن فرغ المكتب من الأشخاص إلا من قصي وديما وأحمد هتف الأخير قائلا:
- سوف أعد لنفسي كوباً من الشاي هل يريد أحدكم؟

صاحت ديما بلهفة:
- اوه! أتمنى ذلك.

انتهز قصي الفرصة واقترب من ديما الجالسة تتصفح الأوراق بانهماك وقال بصوت هادئ وهو ينظر إليها بحبّ:
- انا آسف..!!

جحظت عيناها من قوة المفاجأة، رفعت رأسها بسرعة، نظرت له بعدم تصديق، غمغمت بخفوت:
- ماذا؟ ماذا قلت تواً؟

ابتسم بعذوبة وأعاد على مسامعها ما قال:
- لقد بالغت بالأمر في الأمس، أنا لا أريد إحزانك صدقيني، ولم أعتذر لأي شخص من قبل.

samarragab

نهضت ووقفت قبالته وابتسمت برقة وقالت:
- وهل هذا يعني أنني استطعت أن أجعلك تكسر القاعدة وتعتذر مني، أم أنك تشعر بالذنب لأنك تسببت في جرح عميق بداخلي؟

أجابها بثقة وجاذبية هزت كيانها وزلزلت مشاعرها:
- لا.. هذا لأنني أردت ذلك هل لديك اعتراض؟

لمعت عيناها، ابتسمت واقتربت من أذنه، همست برقة:
- طالما تقوم برسم لوحة جميلة ثم تُشَخْبِط عليها بمنتهى العنف سيكون دائما لديّ اعتراض!

دخل أحمد إلى المكتب حاملاً الأكواب، شاهدها وهي تقترب منه بتلك الطريقة، خجل فاستدار ليخرج مرة ثانية، صاح به قصي بصوت عالٍ والإحراج يغلفه تغليفاً:
- ادخل يا أحمد بسرعة ليس لدينا الوقت لنضيعه سنعمل نهاراً وليلاً، كنت قد أخبرتني أنك تريد شيئاً من هاتف حسان، ما الأخبار؟

أجابه أحمد بجدية:
- نعم سيدي، العناصر فتشت في كل أرجاء المنزل لكنهم لم يعثروا عليه فلابد من سؤال أحد أولاده عن الهاتف.

وصل نجل حسان الضحية الأولى في سلسلة المنتحرين فور إرسال قصي في طلبه، سأله أحمد عن الهاتف فأخبره أنه قام ببيعه قريباً وقبض الثمن ليقوم المشتري بتفكيكه وبيعه كقطع غيار، غضب أحمد من ذلك الغبي الذي تخلص من دليل مهم للغاية دون أن يشعر.

ظل كل منهم يعمل على قضية من قضايا المنتحرين، اختص أحمد بقضية مريم، وقصي بقضية لؤي وزياد، واختارت ديما قضية حسان لعل وعسى يعثر أحد منهم على رابط يربط بينهم جميعاً!

samar ragab

شعر أحمد بالتعب الشديد فغلبه النعاس، لحقته ديما بعد وقت قليل، نهض قصي بهدوء، تحرك على أطراف أصابعه واقترب منها، جلس على ركبتيه، راح يتأمل ملامحها الفاتنة، ابتسم حين تذكرها وهي تقف أمامه دائما بتحدي وقوة، الآن تنام مثل الطفل الصغير، كانت ملامحها غاية في الرقة والهدوء.

حضر في ذهنه قصيدة لنزار قباني كان يحفظها عن ظهر قلب فهو رغم شدته بعمله لكن عاطفته لا يضاهيها قوة!

-سأقولُ لكِ "أُحِبُّكِ".. حينَ تنتهي كلُّ لُغَاتِ العشق القديمة فلا يبقى للعُشَّاقِ شيءٌ يقولونَهُ.. أو يفعلونَهْ.. عندئذ ستبدأ مَهَمَّتي في تغيير حجارة هذا العالمْ وفي تغيير هَنْدَسَتِهْ شجرةً بعد شَجَرَة وكوكباً بعد كوكبْ وقصيدةً بعد قصيدَة سأقولُ لكِ "أُحِبُّكِ".. وتضيقُ المسافةُ بين عينيكِ وبين دفاتري ويصبحُ الهواءُ الذي تتنفسين يمرُّ برئتيَّ أنا وتصبحُ اليدُ التي تضعينَها على مقعد السيّارة هي يدي أنا.. سأقولها، عندما أصبح قادراً، على استحضار طفولتي، وخُيُولي، وعَسَاكري، ومراكبي الورقية ...!!

لم يشعر بنفسه وهو يقول تلك القصيدة بصوت مسموع جعلها تفيق ولكنها ودّت أن تستمع إلى صوت قلبه الغامض، لم تفتح مقلتيها إلا عندما انتهى من سردها، نظرت إليه نظرة عاشقة، دقّ قلبه بعنف وارتبك فنهض بسرعة متمتماً بصوت مهزوز:
- س... سأخرج قليلاً لخارج المكتب لكي أتنفس بعض الهواء النقي.

اعتدلت في جلستها، شعرت بالفرحة تدغدغ قلبها، صاحت بصوتٍ عالٍ:
- هيا تحدّث أيتها الصخرة المتحركة!

لم يستطع المواجهة بعد أن سمعته وهو يقول بها شعراً ويتغزّل بجمالها، انتظر حتى الصباح عازماً أمره أن يتعامل معها بجدية أكثر من ذلك، ذهب إلى منزله ليبيت به الليلة هرباً منها!

شيء ما بداخله يقول له:
- ولماذا الهرب دائماً أخبرها بما تشعر به، أنت تعلم جيداً أنها مختلفة عن أي امرأة قابلتها من قبل، عقلها ليس فارغاً، قلبها نظيف، طباعها فريدة من نوعها، مازالت تحت التمرين بعملها لكنها تسبقك ذكاءً وهيبة، جمالها آخّاذ، وهل تجتمع كل تلك الصفات بامرأة واحدة؟

هز رأسه منافياً، هتف بصوت مسموع:
- الحب ضعف ولن أصبح ضعيفاً مرة أخرى أبداً!

عاد بذاكرته لفترة زمنية ليست بالقليلة عندما كان ضابطاً صغيراً تحت التمرين، وقلبه متعلقاً بابنة عمته التي كانت توهمه بحبها حتى تفاجأ بأنها قد وافقت على الزواج من شخص غيره لمجرّد أنه ثري، وضربت بحبه عرض الحائط، تذكّر كيف أن قلبه انشطر في تلك اللحظة يكاد يقسم أنه سمع صوت انكساره!

عاد قلبه يحدّثه قائلاً:
- تلك نقرة وتلك نقرة أخرى، ديما ليست فاتن وفاتن يستحيل أن تكون ديما، هوّن عليك واتركني للحياة لا تقتل نفسك وتقتلني معك!

انزعج من المَضَارَبة التي تحدث بين عقله وقلبه فنهض ليضع رأسه تحت صنبور الماء البارد عله يهدأ ويخمد تلك الحرب الناشبة بداخله.

ملّت ديما من انتظاره بلا جدوى، ترددت في مهاتفته أو الاستمرار بانتظاره فقرّرت أن تذهب لمنزلها لكي تأخذ حماماً دافئاً وتبدل ملابسها، عازمة أمرها أن تتحدث معه لتجعله هادئا مطمئناً ويبوح بما يعتمل في قلبه تجاهها.

* * * * * * * *

في صباح اليوم التالي...

وردها اتصال منه يخبرها بأن العسكري لن يقدر على أخذها اليوم للمكتب لذلك سيضطر للمجيء لاصطحابها بنفسه، أسلوبه كان جاداً مستفزاً فشعرت بالغضب الشديد منه لأنه عاد لعجرفته من جديد!

غمغمت بعصبية محدّثةً نفسها متوعّدةً إيّاه:

- أقسم أنني متأكدة بأنك برج الجوزاء يا هذا، لم أرَ بحياتي شخص مثلك!

samarragab

بعد أن انتهت من ارتداء ملابسها والتي كانت عبارة عن بنطال أسود وسترة سوداء مفتوحة من الأمام يظهر من أسفلها قميصا قطنيا ذهبي اللون حدوده داخل البنطال وحذاء ذو كعب عال بلون القميص الذهبي، رفعت شعرها فجعلته "كذيل الحصان "

هاتفها عند وصوله وطلب منها الهبوط إليه، أغلق الخط بوجهها دون أن يستمع لردها، بلغ غضبها منه مبلغه، صارت تصرخ متوعّدة إيّاه حتى انزلقت قدمها اليمنى فأخذت الدرج حتى نهايته وهي تتدحرج حتى استقرت على الأرض مغشياً عليها، طرقت رأسها بحجر ضخم كان أسفل الدرج أمام عينيه، جف حلقه، قيدته الصدمة لثواني قبل أن يترجّل من السيارة ويصرخ باسمها كالمجنون.

الفصل السابع

ركض إليها صارخاً، رأته قبل أن تغيب عن الوعي وعيناه تفيضان بالدمع رغماً عنه، حملها راكضاً بها إلى المشفى، صرخ بالموجودين هناك أن يسعفوها بأسرع وقت، اقترب منه ممرض وتبعه رجل آخر ليحملوها بدلا عنه فرفض أن يمسها غيره!

توجه بها إلى حيث أرشداه، وضعها على سرير الفحص بخوف، أمرت الطبيبة بأن يخرجوها لغرفة الأشعة للتأكد من عدم وجود كسور أو شروخ بجسدها، أخبرت الطبيبة قصي أنها بخير مبدئياً، طلبت منه ان يهدأ قليلا، ظنته زوجها لأنها رأت في عينيه خوف شخص متيم، عاشق، ومذعور على شريكته!

samar ragab

هاتفه أحمد ليطمئن عليه بسبب تأخّره المنافي لعادته، أراد إخباره بالأحداث المثيرة الجديدة التي وصلت إليه لتوها، رد عليه قصي بصوت مختنق وأخبره عن الحادث الذي حدث لـ ديما.

هتف أحمد بحزن:
- لولا التطورات الجديدة في القضية لكنت حضرت إليك فوراً لكن لن ينفع أن نترك المكتب ثلاثتنا، أنا أعمل على طرف خيط جديد سيوصلنا للجاني ولابد أن أنتهي بسرعة!

أجابه قصي بلهفة:
- ماذا هناك يا أحمد قل لي ما هو جديدك؟

رد أحمد بأسف:
- لن أستطيع أن أشرح لك عبر الهاتف لأنها تفاصيل كثيرة ودقيقة للغاية لابد لها من شرح مفصّل.

انتفض قصي واقفاً بتصميم وقال:
- بضع دقائق وسأكون بالمكتب انتظرني.

توجه قصي إلى استقبال المشفى، ترك رقم هاتفه لديهم، طلب منهم ان يهاتفوه سريعا إذا استعادت ديما وعيها أو حدث لها أي شيء مفاجئ.

استقلّ قصي سيارته تاركاً قلبه هناك حيث ترقد ديما، نظر على المقعد المجاور لمقعده في السيارة بحسرة عندما وجد قطرات دمائها عليه، أغمض عينيه بلوعة ثم قرّر بعزم ألا يفكر بأي شيء حالياً سوى تلك الأرواح التي تنقص يوماً بعد يوم، وصل إلى مكتبه مسرعا، وجد أحمد منهمك بين الأوراق والحاسوب.
صاح متسائلاً بصوت خافت يبدو عليه البكاء:
- ها! ما الأخبار يا أحمد؟

رفع أحمد راسه بلهفة متوتراً من نبرته الحزينة، هتف متسائلاً:

- قصي.. هل أنت بخير طمئني عن حالك وحال ديما؟

تنهد قصي بحرقة، حاول أن يسيطر الثبات على صوته:

- ما هو الجديد في القضية؟ لا نريد إضاعة الوقت!

هتف احمد بأسى:
- أنا أعلم جيداً مقدار حزنك عليها وأعلم أيضاً أن مشاحناتك معها طول الوقت لكيلا تترك الفرصة لقلبك لأن يميل لهواها.

نظر قصي إليه نظرة قاسية ثم قال بحدة:
- أحمد.. ألم تسمعني! هيا تقدم إلى عملك يا "باشمهندس" أريد تقريراً مفصلاً في الحال عمّا وصلت إليه مؤخراً.

أمسكه أحمد من كتفه وهزه برفق معاتباً إياه، صاح بنبرة عالية:
- لماذا تُعَوّد نفسك على الحرمان من كل شيء، سيموت قلبك من شدة القسوة يوماً ما، أنا أكثر الناس معرفة بك ، رقّة قلبك ولين طباعك نعمة من الله حرام عليك أن تظهر عكسهما؟ في العمل وقبلنا بذلك ولا حق لنا بالاعتراض لكن في حياتك الشخصية أيضاً أليس كافياً إلى هذا الحد؟ اترك لقلبك الحرية اتركه يعشق ويفرح.

جلس قصي بتعب، غمغم بخفوت بقلة حيلة:

- ومن أخبرك أنّ الحب فرح؟ ها أنا أتعذب من شدة خوفي عليها، لو لم يدقّ لها القلب ما كان تعذب الآن.

اقترب منه أحمد وجلس بجواره، هتف محاولاً أن يطمئنه:
-لا تنظر للأمر من تلك الزاوية بل فكر بأنه أصبح لديك شخص تخاف عليه ويخاف عليك، تحبه ويبادلك نفس المشاعر، روح تُمضي معها العمر وأنت مطمئن، حياة أضحت مرتبطة بشخص أعطى لها لوناً ورونقاً خاصاً، اترك لقلبك متسع لينبض باسم الحب وكن على يقين أن اختيارك هذه المرة صحيح صدقني!

ابتسم قصي بمرارة وقال:
- متى أصبحت فيلسوفاً هكذا؟!

أجابه أحمد بصوت هادئ:
- إن ظللت هكذا سأبدع بالفلسفة ليلاً ونهاراً لكن أمام ديما في المرات القادمة!

samar raad

هز رأسه مجيباً بتمنّي:
- أتمنى أن تُشْفى وتكون بيننا في أقرب وقت ممكن.
رد عليه احمد بسخرية:

- أوه! يبدو أننا سقطنا من أعلى قمة الجمود لأسفل قاع بحور الحب!
وهي أيضا سقطت معك، أراقبكما منذ فترة وألاحظ نظراتها لك ومحاولاتها المستميتة لإثبات أنها أقوى وأذكى منك طوال الوقت، تحديها الدائم لأوامرك، تمردها عليك؛ كل هذا يثبت أن قلبها يعلن عليها العصيان لصالحك!

تذكر قصي مواقفها معه، جنونها، قوتها، عنادها، ونظرات عيونها اللامعة وبريقها عندما تراه، شعر أنّه سيقصّر في عمله إذا فكر بها أكثر من ذلك، وذلك منافياً لكونه إنسان عملي نشيط، صاح بثبات بعد أن تحولت شخصيته بطريقة مفاجئة:
- انتهينا من الحديث الجانبي، الآن هيا إلى صميم العمل، ماذا لديك يا "باشمهندس" أخبرني به؟

استدرك أحمد تقلبه المفاجئ، فسار مع التيار وتحدث بجدية مشابهة له:
- قد وصل تقرير المعمل الجنائي سيدي.. اطّلعت عليه بعد إذن سيادتك فذهلت وانا أتفحص سطوره، تبين لي أن زياد لم ينتحر وقطع شرايين يديه وقدميه كانت بفعل فاعل.

انتبهت حواس قصي لحديث أحمد الغير متوقع، قال بتساؤل عندما أذهلته الصدمة:
-ماذا يعني هذا الحديث؟

فرك أحمد كفيه بحماس، قال:
- البصمات على "موس " الحلاقة ليست بصماته هو إنما هي بصمات لؤي!

هتف قصي بلهفة:
- هل تقصد أن لؤي هو من فعل ذلك بزياد؟

اجابه احمد بثقة:
- نعم بالضبط.

samar ragab

حك قصي ذقنه بتفكير ثم قال بفضول:
- يتبين لي أنك ملم بكل ما حدث ذلك اليوم جيداً، قص عليّ ما لديك من بادئ الأمر لأكون معك على نفس الوتيرة.

هز أحمد رأسه بالموافقة، قال برسمية:
- من خلال عملي على هواتفهما والحاسوب الخاص بزياد، ظهر لي أنهم كانوا يتحدون من يقوم بتهديدهم وغير مكترثين لأمره إطلاقاً!

كان الموضوع بالنسبة لهم مجرد لعبة، وبالفعل كانت نيتهم صحيحة بالنسبة لاستخدام " هكر" لكي يلقنوه درساً لتجرؤه على اللهو معهم!

لكن ما لم يكن في حسبانهم أو علمهم أن من يهددهم استطاع ان يجعل هواتفهم وجميع اجهزتهم مفتوحة أمامه على مدار الساعة!

مكالمات، رسائل، فيسبوك، واتساب وكل وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بهم!

ما يهمنا الآن سيدي أنهم بالفعل لم يكن لديهم نية مُبَيَتَه أبداً بالانتحار إلا عندما وصلت للؤي رسالة من الجاني تحتوي على صور ومقاطع فيديو لزياد مع شقيقة لؤي!

بالطبع لم يخبر لؤي أي شخص عن تلك الرسالة وقرر أن ينتقم بنفسه من زياد!

أنصت إليه قصي باهتمام حيث استرسل أحمد في حديثه قائلاً بثقة:

- كنت أشك بأمر ما لأنني لم أجد أي شيء غريب على "الفيسبوك" أو البرامج الشبيهة به فكان حريّ بي أن أبحث في الرسائل النصية وبالفعل وجدت ضالتي كما توقعت؛ لذلك طلبت هاتف حسان.. لأن هاتف مريم كان يحمل رسالة من شركة اتصالات معروفة؛ رابط تحميل لرصيد بمبلغ مغري مجاناً كعميل مميز للشركة وعندما فتحته لم يظهر معي أي شيء ولم أستطع تتبعه أو معرفة مصدره!
استخدمت برنامج لدي لفك تشفيرات تلك الروابط المحمية لكنه أخذ من وقتي ومجهودي الكثير، باء بالفشل رغماً من ذلك!

بحثت عن تلك الرسالة فوجدتها بالفعل على جميع الهواتف " نصر، زياد، لؤي" فتأكدت أن العقل المدبر في كل القضايا هو شخص واحد فقط وعندما أنجح في فك شيفرة ذلك الرابط سأصل فوراً إلى قلب نظامه وأكشف هويته.

هتف قصي بحماس:
- عظيم! افعله فورا.

اجابه احمد بهدوء:
- أتمنى أن أستطيع اختراق ذلك الكيان سيدي لأنني أشك بشيء قد يقلب مجريات القضية!

صاح قصي بتساؤل:
- ما هو ذلك الشيء؟

رد عليه احمد متحفظاً:
- أستأذن حضرتك بعدم توجيه الأسئلة لي الآن حتى أتأكد من ظنوني، ومع الأسف من الممكن أن يأخذ معي ذلك البرنامج أسبوع أو أقل!

زفر قصي بضيق:
- هل تعلم أن بتلك الطريقة سينتحر شخصاً جديد؟ لا يوجد وقت أمامنا تصرف بسرعة أريد حلاً لا يأخذ كل تلك المدة.

قال احمد بقلة حيلة:
- فعلت ما بوسعي سيدي لكن ذلك الكيان درعه الأمني قوي للغاية، أنا على يقين بأنه نظام تامين مدفوع به مبالغ طائلة وليس شيء عادي يخترق بسهوله!

عقب قصي على حديثه الغامض بريبة:
- ألاحظ أنك تقول كلمة "نظام" بشكل متكرر، هل أفهم من ذلك أنه ليس شخصا عاديا؟

نطق احمد بحيرة:

samar ragab

- بمجرد معرفتي بأخبار أكيدة لن أتأخر على سيادتك!

كاد قصي أن يرد عليه بتساؤلات جديدة لكن رنين هاتفه استوقفه عندما رأى رقم المشفى فأجاب متلهفاً، استمع إلى صوت انثوي يقول بشكل رسمي:
- مرحباً لقد استعادت زوجتك وعيها.

نهض قصي مسرعاً وهو يقول بفرحة عارمة:
- سآتي على الفور.

* * * * * * * * * * * * * *

طوال طريقه إلى المشفى؛ تجول بخاطره تلك الكلمة التي ألقتها الممرضة على مسامعه " زوجتك" تمنى من صميم قلبه أن تكون حقيقية!

وصل على عجالة، التقى بالطبيبة التي أخبرته أن ديما بخير حال رغم كسر يدها اليمنى وارتجاج طفيف برأسها وبعض الكدمات الخفيفة، اطمئن قلبه واستأذن منها مسرعاً متلهفاً إلى غرفة ديما.

ما ان دخل واقترب منها حتى صرخت بوجهه بعنف:
- من أنت وماذا تريد مني؟

الفصل الثامن

صُدم قصي من ردة فعلها الغريبة، و تساءل مع نفسه بريبة؛ هل فقدت الذاكرة، هل حقاً لا تتذكره، لكن الطبيبة لم تخبره بأمر كهذا!

هتف بهدوء حذر:

- ديما! هل أنتِ على ما يرام؟

أجابته بنفس النبرة العالية:
-وتعلم اسمي أيضاً! من أرسلك إلى هنا؟ وما الذي أتى بي إلى هذا المكان من الأساس؟

أصاب العجز لسانه وقيدته الصدمة فوقف مكانه دون أن يتحرك أو يتكلّم، صرخت متألمة من يدها ورأسها، اقترب منها مسرعاً، و قال بخوف:
-بماذا تشعرين؟ هل تتألّمين كثيراً؟ لا تقلقيني عليكِ أرجوكِ وأخبريني أنكِ بخير!

همست وهي تنظر في عينيه بحب:
-ألهذه الدرجة تخاف عليّ؟

ضيق ما بين حاجبيه، كاد ان يتحدث مستنكرا غاضباً منها، لكنها قاطعته وهي تضحك بعذوبة:
-نعم.. نعم لقد افتعلت النسيان، لم أكن أتوقع أن تكون مرهف الحس هكذا وتخاف عليّ أيضاَ يا لها من قصة!

تنحنح بإحراج، محاولاً مداراة حرجه:
-"احم احم" هيا يا حضرة الضابط استعيدي صلابتك سريعاً، العمل يناديكِ!

قالت بغيظ بصوت يخرج من بين اسنانها :
-اللعنة على حظي! لن ينفع معك شيء على الاطلاق أيها المتحجر!
صاح بتساؤل:
-هل تقولين شيئاً؟
أجابته بتذمر:
-لا انسَ الأمر سيدي.

دخلت الممرضة تحمل وجبة الغداء، وجهت حديثها لديما قائلة بابتسامة ودودة:

samar ragab

- حمداً لله على سلامتك سيدتي.

بنبرة ذات مغذى أكملت الممرضة حديثها ويعتري وجهها ابتسامة خبيثة:

-أودّ أن أخبركِ سراً.. إنّ رجلكِ يخاف عليكِ كثيراً، لو تعلمين ماذا فعل بنا عندما أتى بكِ إلى هنا أظن أنه كان سيهدم المشفى فوق رأسنا خوفاً عليكِ.

صرخ بها قصي لكي تضع الطعام صامتة وتخرج على الفور، تعجبت الممرضة من أسلوبه الفظ فهي التي ظنت أنها بتلك الكلمات المعسولة عنه أمام زوجته سيعطيها مبلغاً يرضيها، لكنها لقيت منه ما لم تتوقعه أبدا!

ا

كتمت ديما ضحكاتها عندما شاهدت تورد وجنتيه من الإحراج والخجل كالفتيات.

"يا لهذا القلب الرقيق الذي يتخفّى خلف وجه قاسي وأسلوب متعجرف"!

هتفت ديما بطريقة طفولية:
-عظيم! والآن كيف سأتناول وجبتي بتلك اليد الموضوعة بالجبيرة بعدما طردتها وهي التي كانت ستساعدني على ذلك، أنت بالتأكيد تريد أن تقتلني جوعاً لكي تستريح مني.

أجابها بلهفة وخوف:
- لا قدّر الله .. ماذا تقولين ؟؟!!... سأطعمكِ أنا لكي آخذ ثواباً بكِ!

زفرت بقلة حيلة وهي تغمغم بصوت خافت:
-ويبقى القط كما هو مشاكساً لا يرتاح أو يريح من حوله!

* * * * * *

samar ragab

مرّت بعض الأيام ظلت فيهم ديما بالمشفى لاعتراض قصي الشديد ان تخرج منها الا بعد أن يطمئن عليها تماماً

في تلك الاثناء كانت لا تأكل إلا من يديه ولا تنام إلا على صوته وهو يقص عليها الحكايات المختلفة لكُتابِها المفضلين، كان ينام على الاريكة المرفقة بجانب فراشها في الغرفة، يتركها لبعض الوقت لمتابعة عمله منتظراً نجاح أحمد في ذلك البرنامج الذي يحاول أن يحل به القضية وينهيها.

حتى خلال الأوقات التي يتركها فيها كان يطمئن عليها بالهاتف أو الرسائل النصية وبرغم كل هذا الاهتمام لم يعترف قط بمشاعره تجاهها، يوهمها دائماً أن ما يفعله معها كان سيفعله مع أي شخص آخر، فالواجب يحتم عليه ذلك، لكنها تشعر بحبه لها تفضحه عيناه ونظراته العاشقة، يعترف عليه خوفه عليها والسهر على راحتها وأشياء أخرى كثيرة لا يفعلها إلا عاشق ذاب عشقاً في أنثاه!

أصرت على الخروج من المشفى، فقد أصابها الملل كثيراً من المكوث في السرير بلا هدف، أرادت أن تتابع القضية واشتاقت للعمل وللحماس المشتعل بعقلها وهي تحاول فك رموز التسلسل المتقن من قِبَل المجرم المُحرض على كارثة الانتحار المتتالي لأهل البلدة.
وافق قصي على طلبها مضطراً بعد أن ألحت عليه دون كلل أو ملل، خرجت بجبيرة في يدها وبعض القطب على بعض جروحها الطفيفة التي لا تمنعها من ممارسة عملها بحرص.
دخلت المكتب برفقة قصي وهي تجوب بعينها جدرانه المهترئة التي وبرغم هيئتها القديمة إلا أنها مشتاقة بشدة للانغماس بالعمل داخلها، وجدت أحمد يجلس على حاسوبه بثياب غير مهندمة، ذقنه غير حليقة ويبدو عليه التعب الشديد، تأكدت أنه يعمل بشكل متواصل منذ أيام، ألقت عليه التحية بحرارة، قابلها بنفس الحماس فرحاً لعودتها وتواجدها بينهم مرة أخرى، عادت إلى حماسها ونشاطها وأعادت إلى المكتب رونقه الذي كان من دونها بلا حياة.

تصفحت الأوراق ودرست كل ما فاتها في فترة مرضها إلى أن امرها قصي بعد مرور الوقت بالعودة إلى المنزل لأخذ قسط من الراحة، انصاعت لأوامره وهمّت للنهوض والمغادرة بصحبته لإيصالها إلى المنزل لأنها لا تريد أن تثير غضبه برفضها كي لا يأمرها بالتزام السرير مرة أخرى.

صرخ أحمد مهللاً بفرحة عارمة قبل أن يغادر الثنائي فاستوقفتهما نبرة السعادة في صوته فيتوجّها نحوه بلهفة:

-حمداً لله فقد استطعت أخيراً أن أقتحم نظام الأمان الخاص بـ"الهكر" وبعد دقائق قليلة سأعرف كل بياناته الخاصة ومكانه أيضاً!

بعد مباركات وكلمات فخورة من قصي ورقيقة من ديما نجح أحمد في الوصول لكل بيانات الموقع، لم يستطع أن يخفي ذعره عندما رأى ذلك الشيء الذي ينبئ بخطر يداهم ضحية أخرى، صاح بقلق:

-قصي باشا؛ هنالك ضحية جديدة وفي طريقها لتنفيذ انتحارها بعد بضع ساعات كما اتفق معها ذلك الكيان!

صاح قصي بصوت عال :

-أخبرني بالعنوان حالاً سنتحرك فوراً، امكث أنت هنا واعمل جاهداً على معرفة عنوانه بالتفصيل وأعطيك الآن صلاحية استخدام العناصر المطلوبة لجلبه إلى هنا زاحفاً لحين عودتي!

أسرع قصي إلى عنوان الضحية التالية، طرق الباب بقوة طرقات متتالية حتى فتحت له فتاة في السادسة والعشرين من عمرها، عيناها متورّمتان من كثرة البكاء صوتها بالكاد يخرج متسائلاً عن سرّ تواجدهما أمام دارها.

سألها قصي بريبة:
-سلوى محمد كرم!

أجابته بصوت مكتوم :
-إنها أنا، ماذا هناك؟

Samar ragab

هتف بجمود:
- أين والدك او والدتك؟

حدّثته بطريقة فظّة:
-ماذا تريد؟

صاح بثقة:
-أنا الضابط قصي الألفي جئت بنفسي لاصطحابك للتحقيق معك في بعض الأشياء التي تحتاج إلى توضيح!

تأكّدت من صدق كلامه عندما رأت خلفه عناصر من الشرطة يتميزون بزيهم العسكري!

قالت برعب محاولة أن تستجدي عطفه:
- أنا! لماذا ؟! أقسم لك سيادة الضابط أنني لم أفعل شيء أرجوك اتركني بالتأكيد أنتم مخطئون بأمري!

أجابها بهدوء:
-أين أهلك؟

ردت عليه وقد بدأ البكاء يأخذ طريقه لعينيها التي لم تكف عن ذرف الدموع:
-إنّ أبي قد توفاه الله وأمي مريضة ولن تستطيع النهوض الآن!

هتف وهو يحاول طمأنتها :
-لا تخافي يا سلوى أنا هنا لأنقذك، أنا أعلم الأمر الذي تمرين به وتواجدت الآن بنفسي كي أستطيع أن أمنعك من قتل نفسك!

لطمت وجهها بيديها وقالت بنحيب:
-"يا إلهي" لقد فُضِحَ أمري! أقسم بالله أنني قد عزمت على التوبة النصوح، أقبل قدميك سيدي ألّا تخبر أمي بشيء .

samar ragab

أجابها بصوت منخفض:
-تعالي معي ولا تخافي أعدكِ بأن يكون ذلك التحقيق سرّي ولن يعلم بتفاصيله أي شخص كان.

ذهبت معه مجبرة إلى مكتبه كي يستكمل التحقيق معها، في حين انتظرته ديما في المكتب وأبت أن تغادر إلا بعد أن يتم القبض على المجرم المتسبب بكل هذا!

جلست سلوى أمام قصي الذي بدأ ينهال عليها بالأسئلة فقال:
-منذ متى وذلك الحساب يقوم بتهديدك وترهيبك؟

أجابت بتوتر :
-منذ أيام، حياتي أصبحت جحيم بسببه، يقوم بإرسال المكالمات والصور الخاصة بي وأشياء سرية وخاصة للغاية!

صاح قصي بها أن تكمل:
-لا تتوقفي، أكملي لن نحاكمك على شيء إنّما نحن نفتش وراء ذلك الحساب لنعرف هويته لا أكثر!

أ جابت بخجل شديد لو كانت تمتلكه قبل ذلك لما فعلت ما فعلته:
-وأشياء سيئة كنت أقوم بفعلها، كان يهددني بها.

هنا تكلمت ديما وقالت بتعجب:
-ما هذا الحديث هل نحل الأحجية أم تتحدثين سريعاً وتخبرينا كل شيء كنتِ تقومين به حتى أصبحتِ عرضة لتهديداته؟

قال أحمد بسخرية:

samar ragab

-بماذا ستخبرنا؟ هل ما فعلته يُقال؟ أيمتلك أي شخص كان القدرة على الإقرار ببشاعة فعل كهذا ؟!

شرعت بالبكاء والنحيب وتمتمت بخفوت:
-أقسم بأنني قد توقفت عن تلك الأشياء المشينة وقد بلغ ندمي عنان السماء.

قال قصي بعصبية:
-فليخبرني أحدكم ماذا يحدث هنا، هيا أريد التفاصيل الكاملة.

خيّم الصمت على الجميع لبعض الوقت فقطعته ديما وقالت بنفاذ صبر:
-تحدّثي أيتها الفتاة لا تجعلينا ننتظر كل ذلك الوقت لسنا متفرغين لذلك.

كفكفت دموعها بكفيها وقالت باختناق:
-إنني فتاة قذرة مجرمة تضع المنوّم لوالدتها في طعام العشاء ليلاً كي أستطيع أن التقي برفيقي براحتي في المنزل دون علمها!
غرقت بحبه المحرم حتى اعتدت عليه ولم أعد أفرق بين الحلال والحرام أو حتى أشتري رضا أمي، ساءت الأمور كثيراً ولم أستطع التوقف عن كل تلك القذارات التي كنت مخطئة مجرمة بها لكنني تُبت وندمت...

الفصل التاسع

غادرت الفتاة تحمد الله على تخطيها تلك الأزمة التي تسبّبت بها لنفسها بأفعالها المشينة لكنها أخذت عهداً على نفسها ألا تعود للماضي أبداً.

وجّهت ديما حديثها لأحمد الذي يجلس على مقعده بعصبية مفرطة قائلة بتساؤل:

- ماذا بك يا أحمد؟ لم تستطع أن تسيطر على غضبك أنت تعلم جيداً أنّ الهدوء والرزانة أصل مهنتنا، حاول أن تسيطر على ردود أفعالك سيقابلك الكثير والكثير والذي من المؤكد سيكون أفظع من ذلك أيضاً!

samar ragab

غمغم احمد بانكسار:
-برغم أنّها فعلت ما لا يغتفر لها و مهما قدّمت من اعذار
لن أستسيغ فعلها إلا أن هذا ليس السبب الوحيد لغضبي الآن!

تدخّل قصي الذي نهض ليكون على مقربة منهما وللمشاركة بالحديث قائلا بجدية:

- تكلّم يا أحمد ماذا حدث معك هل أنت بخير؟

نظرت إليه ديما بتعجّب لأنها لمست به شعور الخوف والحنو على أحمد، رغبت في رؤية هذا الجانب الرقيق موجّها لها هي ، تابعت مراقبة الحديث حينما قال أحمد بحزن يكاد يصل إلى حد البكاء:

-أنا فاشل... لا أستحق التواجد هنا.

رفع قصي رأسه بحزم ثم صاح بديما أن تغلق الباب وتأتي لمتابعة الحديث، لبت ديما طلبه باحترام ثم جلست تستمع إلى قصي عندما قال بهدوء:

-ما الذي يجعلك تقول مثل هذا الكلام الغريب؟

أجابه أحمد وهو ينظر في الأرض بخجل شديد:

- الظاهر أن موضوع سلوى هذا مجرد "طُعم" أُلقيّ لسمكة جائعة مثلي عندما علموا بأنني قد اخترقت نظامهم الأمني، ظهرت كل البيانات التي تخص الفتاة أمامي بمجرد أن دخلت على النظام ولم أميز وقتها كيف تظهر أمامي بذلك الشكل المتعمد، استطاعوا إلهائي حالما يلفظونني خارج النظام مرة أخرى!

ابتسم " قصي " برقة قبل أن يقول بهدوء:
-اسمعني جيداً.. لا أستطيع أن أقول لك بأنك لست مخطئاً، كان ينبغي عليك أن تأخذ كافة تدابيرك اللازمة ضدهم فمن الواضح لدينا أنه كيان شديد الذكاء،

samar ragab

لكن لابد لك أن تنظر للجانب الجيد وهو المهم الآن أنك تسببت في إنقاذ حياة إنسان، هيا فلتفعلها مرة أخرى أنا أثق بك.
غيّر نبرة صوته ليكون أكثر جدية ثم قال:

لكني أنبّهك أيّها الشاب غير مسموح بالأخطاء مرة ثانية هنا داخل مكتبي.. هيا توجّه لعملك.

تمتمت ديما بحماس وهي تهم بالنهوض:
-سأعد لك كوباً عالميّ من القهوة التي ستجعلك نابغة في مجالك.
قال قصي بمرح:
- "عليه العوض ومنه العوض" ضاعت القضية يا بنيّ فَيداها تمتلك القدرة على جعل القهوة كبريتية عجيبة.

تغيّر حال أحمد من الحزن إلى الحماس وقال بمزاح عندما رأى وجه ديما العابس الذي بدا كوجه طفل غاضب:
- لا أريد سأعمل دون قهوة!

خرجت ديما من المكتب وهي كموج البحر من فرط الغيظ من مزاحهما ضدها فضحك الاثنان على همهماتها الغاضبة وهي تخرج تاركة إياهما يعملان على القضية كل من طرفه وسعته.

مرت أربع وعشرون ساعة لم يبرح أحمد مكانه أمام الحاسوب إلا أوقات قليلة جداً لكنه لم يستطع الوصول لأي ثغرة تساعده على اختراق نظام الجاني مرة أخرى، قضت ديما تلك الساعات بين الأوراق وكانت تنام على نفسها ويوقظها قصي بالتبادل بينه وبينها لكن لم يستطيعا الوصول لأي شيء جديد حتى وصل إلى مسامعهم طرقات قوية سريعة على الباب التابع لمكتب قصي، هتف الأخير بصوت جهور ليأذن للطارق بالدخول، امتثل العسكري أمامه باحترام قائلاً بسرعة:

-لقد حضر إلينا الآن بلاغاً رسمياً عن حالتي انتحار!

صمت العسكري لبرهة من الوقت ثم تابع بحزن:

samar raad

- لكن . . .

قاطعه قصي بعصبية مفرطة:
- لكن ماذا؟ تحدّث يا ماهر بسرعة.

أجاب " ماهر " بحذر:
-أحد البلاغين قادم من منزل العسكري " سليمان الزغبي" سيدي.

صاحت ديما بقوة متسائلة غاضبة:

-ماذا تقول؟ هل وصل الأمر لأن تكون الضحايا من داخل قسم الشرطة؟!

أجابها العسكري بحزن:

-ليس هو سيدتي إنها ابنته من قتلت نفسها، وجدوها في الصباح معلقة بحبل متدلٍ من سقف غرفتها مفارقة للحياة منذ ساعات!

قالت ديما بشكل رسمي خال من العواطف:

-وماذا عن البلاغ الثاني يا ماهر أخبرنا التفاصيل؟

أجابها قائلا:
-ولد شاب لم يكمل العشرين بعد منزله بأول القرية وأهله في حالة يرثى لها، وبنفس طريقة الانتحار الخاصة بابنة سليمان قام بقتل نفسه! وبنفس التوقيت تماماً!

انطلق أحمد مسرعاً من أمامهم الى المرحاض ليطلق العنان لعبرات تلهب صدره فوقف أمام المرآة يبكي بحرقة حتى بلغ الغضب منه مبلغاً عظيماً جعله يضرب رأسه في المرآة، انطلق الدم من رأسه ليغرق وجهه وثيابه، لم يتحمل قوة الضربة والضغط على قلبه أيضا فوقع مغشياً عليه.

samar nagah

توجّه قصي برفقة بعض العناصر إلى بيت الشاب وبما أن ثقته كبيرة في ذكاء " ديما فأرسلها وبعض العناصر إلى بيت الفتاة وحثّها على انتظاره وألّا تتخذ أي موقف متهور لحين وصوله.

عاينت ديما بنظرة تفحّصية غرفة الفتاة، ما أثار فضولها هو حالة الجمود التي وجدت والدها العسكري عليها، كانت تتوقع أن يكون أضعف من ذلك وأكثر حزناً، نظرت إلى والدتها التي تجلس في ركن بعيد وحدها محتضنة جسدها بقسوة وصوت بكائها يصل إلى خارج المنزل، اقتربت ديما منها بهدوء لتربت على كتفها، لمسات " ديما " الحانية كانت بمثابة بوابة عبور الأم للشعور بالأمان فأمسكت بيد ديما بقوة وراحت تبكي أكثر فأكثر، اقترب منها زوجها ونهرها بشدة حيث قال بغضب بالغ:

-ألم أحثّك على عدم البكاء يا امرأة! لا تسقط من مقلتيكِ دمعة واحدة على تلك الكافرة التي اختارت أن يكون موتها على كفر بالله، أقسم لك إن بكيتِ مرة أخرى فستكونين طالق بالثلاثة قبل أن أقوم بتوصيلك إلى ابنتك بيديّ!

نظرت له ديما نظرة ذات مغزى ثم تبعت نظرتها تلك بقول حاد أبرز قوة شخصيتها:

-هل جننت أيّها الرجل؟ الزم انت حدودك يا عسكري وإلّا قسماً بربي وربك لأجعلك تقضي أيامك القادمة مع من تضعهم بيدك في "التخشيبة" ألا تحترم حُرمة الميت الذي يكون لحمك ودمك أو حتى تواجدي، تفضل بالخروج الآن خارج المنزل ولا تعد إلى هنا إلا في حالة أرسلتُ أنا في طلبك.

في نهاية جملتها كان " قصي " يدلف إلى ردهة المنزل وزوجة العسكري تقع على جانبها مغشياً عليها من فرط خوفها من زوجها.

كاد أن يتدخل متوعداً للعسكري لسوء أدبه ومعشره لكن هاتفه الذي يرن بإلحاح في جيبه جعله يلتقطه ليجيب على العسكري المتواجد بقسم الشرطة الذي يعمل به، أخبره العسكري عن إصابة أحمد داخل المرحاض فركض "

قصي " بأقصى سرعته إلى الخارج ليركب سيارته متوجّها إلى المشفى فتبعته " ديما " برعب واضح واستقلّت السيارة بصحبته وهي تسأله كالملسوعة:

-ماذا حدث قصي لماذا تركض هكذا؟! لقد وقع قلبي بين قدميّ ، ماذا سمعت على الهاتف؟.

صرخ بها أن تعود إلى المنزل وأن تكمل ما بدأته وتسد غيابه، لم تقبل طلبه قبل أن تفهم مصابه فأخبرها عن وضع أحمد الذي نُقل إلى المستشفى بعدما نزف كثيراً وحده بالمرحاض!

لمحت في عينيه عبرات حبيسة تود الانطلاق، آلمها قلبها بسبب حزنه وخوفها على أحمد كان كبيراً، لكنها لم تستطع أن تترك مكان الحادث فيغيب عن القضية كلاهما فذلك لن يكون في صالحهما على الإطلاق.

الفصل العاشر

أمرت ديما العناصر بمصادرة جميع الأجهزة النقالة الموجودة في المنزل حتى تلك التي تخص أهلها، شيء ما في نفسها يحدّثها بحتمية ذلك لأنها تشعر أن هنالك لغز جديد في ذلك المنزل لكنها لم تتوصل لأي شيء دون أحمد، احتارت وشعرت أنها وحيدة تماماً بدون أحمد وقصي!

طمأن الطبيب قصي الذي جلس على مقاعد الانتظار أمام الغرفة بلهفة وخوف كبير، ارتاح قلبه قليلاً عندما علم أن أحمد بخير عدا عن بعض الكدمات وكسر بيده وجرح غائر في رأسه لكنّ وضعه لم يكن خطيراً أبداً ، هو فقط ممنوع من الحركة البدنية أو الإجهاد النفسي لمدة أسبوعين على الأقل، لم يفكّر قصي آنذاك بأمر القضية كان كل ما يهمه هو سلامة أحمد فقط، هاتف ديما ليطمئن عليها وعلى الأمور بقسم الشرطة خصيصاً أنها تعمل وحدها وهي ما زالت مريضة، طمأنته الأخيرة وطلبت منه المكوث بالمشفى لحين استعادة أحمد لوعيه.

samar ragab

فتح أحمد مقلتيه ببطء وراح يجول الغرفة بنظره ليفهم أين هو، وجد نفسه ممدّداً على سرير من أسرة المستشفيات التقليدية وقصي جالس بجواره على المقعد المجاور للسرير، بدا على وجهه الحرج والخجل منه، حاول أن يهرب بنظراته كي لا تتلاقى مع قصي لكن الأخير هتف بفرحة:

-الحمد لله على سلامتك يا "بطل" لقد أخفتنا عليك كثيراً أم أنّك تختبر مقدار حبك بقلوبنا!

لم يجبه واكتفى بإزاحة وجهه من أمام ناظريه بحزن شديد، صاح قصي بجدية:

-لا تفعل هكذا... من بهذه الدنيا يستطيع أن يكون خارقاً بكل الأوقات؟ بالطبع الجميع لديه أخطاء كبيرة وصغيرة المهم أن يتعلّم كيف يتخطاها ويعلو عليها ويستغلها بذكاء.

أجابه بصوت متحشرج:

-لقد خيّبت ظنك بي في أول عمل يجمعنا أو عمل أتولّاه أنا!

=لم يفت الأوان بعد.. هيا انهض سريعاً لنكمل ما بدأناه، لكن الآن ليس المطلوب منك سوى الراحة فقط وتلك أوامر عُليا لا تستطيع اختراقها أيّها الشاب.

ضحك رغماً عنه ثم قال متألّماً:
-دائما ما تضحكني تلك الكلمة وأتعجب من قدرتك على جعلي غريباً عنك هكذا بلحظة وقت العمل!

=أنت تعلم أن العمل شيء مقدّس بالنسبة لي، وتعلم أيضاً مكانتك في قلبي لكن عند العمل تختفي المشاعر وصلة القرابة.

-أعلم هذا جيداً وأقدّره بل وأفخر بذلك وتعلّمته منك.

samar ragab

رنّ هاتف قصي بمكالمة مرئية ليقاطعهم ذلك الاتصال عن الحديث، أجاب على ديما التي تصرّ على أن يجيبها، هتفت ديما بصوت قلق:

-هل استيقظ أحمد؟

أجابها أحمد بودّ :
-نعم عزيزتي.. أشكرك على الاهتمام والسؤال.

طلبت من قصي توجيه الكاميرا على وجه أحمد لكي تراه، مزحت معه وجعلته يضحك متألّماً، أخذ قصي الهاتف بعيداً ليتحدث معها ويطمئن على حالها وأمور القضية، لمحت بعينيه نظرة تخبرها عن شوقه لها، بادلته الشوق بالنظرات وتمنّت أن يترجم تلك النظرات لحديث مسموع يصدر من فمه، لكن كالعادة كان الصمت هو سيّد الموقف بينهما!

عادت للعمل والحماس متزايد في أوجه، حملها لكامل المسؤولية وحدها جعلها تكثف جهدها وتفكيرها، بينما هي منهمكة بالأوراق والملفات، دخل قصي المكتب بعد أن طرق الباب، تفاجأت بقدومه، هبت واقفة وقلبها يدق بعنف، هتفت بصوت خافت:
-لم تخبرني بأنك ستأتي عندما هاتفتك الليلة!
=هل ينبغي عليّ إخبارك بموعد قدومي إلى مكتبي؟
-لا أقصد ذلك بالطبع لكنّي ظننتك ستبيت الليلة بجوار أحمد!
=لم أستطع أن أتركك وحدك، أثق بكِ تمام الثقة برغم ذلك لم أقدر على تركك تقضين ليلتك بين الملفات بدون شريك.

=أقدر لك ذلك...

قاطع حديثهما صوت الفتاة الجالسة مكان أحمد أمام جهاز الحاسوب و التي تنحنحت لتبيّن أنها موجودة بينهما الآن لأنها لاحظت أن الشوق بينهما يخفي وجودها في أعينهما!

التفت قصي بحدة لينظر إليها، فهمت ديما نظراته المتسائلة، فهتفت بقلق:
-إنّها "حلا" رفيقتي في كلية الشرطة!

كاد أن يتحدّث متسائلاً فقاطعته بسرعة قائلة بنبرة واثقة شجاعة :

-وسبب وجودها هنا؛ أنّها تحلّ محلّ أحمد!

=ماذا؟!
-اهدأ سأخبرك بكل شيء ، اسمح لي بمرافقتك للخارج قليلاً وسأشرح لك الأمر برمته.

رافقها غاضباً متوعّداً بعقاب لاذع إن لم تقنعه أعذارها، بدأت تتحدّث بنبرة حذرة:

-رغبت حلا في دراسة كل ما يخص الشبكات والاتصالات والأنظمة بمعنى أوضح عالم الإنترنت لكن والدها أرغمها على كلية الشرطة فتعلّمت ما تهوى دون معرفته، تميّزت جداً في ذلك المجال، تعمل في الخفاء ولا يعلم عن أمرها أي شخص سواي، ففكرت في أن أجعلها تساعدني بينما يستعيد أحمد صحته ونشاطه!

كوّر قبضته من شدة الغيظ، صرخ بها بشكل جنوني:
-إلى متى تلك التصرفات المتهورة؟ إلى متى تتجاوزين حدودك معي؟ نحن نعمل بقضية رسمية.. لا نمزح هنا، وأنا من يقرّر من سيحلّ محلّ أحمد، رسميّاً وبأوراق ثبوتية مقيّدة في ملف القضية عمله الرسمي يكون بين جدران مكاتب التحقيقات، مؤدي للقسم العسكري!

كادت أن تجيبه فألجمها بصوته الهادر:
-اصمتي.. لا أريد أن أستمع إلى المزيد! هيا اجمعي أشياءك وعودي من حيث أتيتِ، لن يأتي الصباح عليّ وعليكِ في نفس المكان، ارحلي.

انصرف غاضباً من أمامها، تجمّعت العبرات في مقلتيها، كان هدفها المساعدة وإلقاء القبض على الجاني بأسرع وقت ممكن.

فتح باب مكتبه، نظر متفحّصاً تلك الحلا فوجد هيئتها غريبة بعض الشيء ، ترتدي قبعة صبيانية جعلت طرفها الأمامي معكوساً للخلف وقميصها القطني يبدو كملابس الصِبيان، بنطالها الجينز به بعض التمزقات ليناسب صيحات الموضة الغريبة الغربية!

samar ragab

دون أن تنظر إليه قالت بثقة رهيبة مثل التي تمتلكها ديما أو أكثر بكثير:

-نصف ساعة ويكون الجاني بين كفّيك! اطلب لي فنجاناً من القهوة كبيراً واجلس فأنا بحاجة إلى مناقشة بعض الأمور معك!

صاح ساخراً وقد ضاق ذرعاً من ديما ونسختها الجديدة:
-مرحى! لقد كان ينقصني ذلك بالفعل...

هتفت بعدم اكتراث لثرثرته الذاتية:
-أين ديما؟ وأين قهوتي.. أرى أنك شخص بطيء بعملك يا هذا؟

دخلت ديما بتلك اللحظة لتقول صارخة:
-حلا.. تحلّي ببعض الأدب إنّه الضابط المسؤول عن القضية ونحن نعمل تحت قيادته... عفواً ، أقصد كنا نعمل!
هيا بنا لم يعد لي ولكِ مكان هنا لقد تمّ طردي!

ببرود عجيب أجابتها حلا:
-ديما.. عزيزتي أنا لا أفهم بتلك الأمور إطلاقاً حتى أمور الكلية أنا أفشل بها جميعاً، لا تأكلي رأسي بتلك التفاهات فقد اقتربت من الإمساك بالجاني، هل تعلمين عنّي أنّني أترك الأشياء في منتصفها!

صرخ قصي بغضب بالغ:
-هل وقعت مع مجموعة ممن يشعرون بجنون العظمة، أريد إخلاء مكتبي الآن وبسرعة!

صرخت ديما بوجهه بنفاذ صبر:
-لا تصرخ هكذا.. سنرحل أقسم لك بذلك لكن ليس من حقك أن تهيننا.

صاحت حلا بمرح:
-ها نحن هنا.. أيها المجرم القذر لقد أمسكت بك!

التفت الثنائي لينظرا إليها بتعجّب، ثقة مهيبة تصدر من عينيها وهي تضع القلم بجانب فمها وتنظر إليهما خلف نظارتها الطبية قائلة:

Samar rajab

-لماذا تأخرت قهوتي!

ركضت ديما نحوها بحماس وقد نسيت أمر قصي، قالت بنبرة فرحة:
-حلا هل توصلتِ بالفعل إليه؟

دارت بمقعدها بفخر، قالت بثقة:
-نعم.. وأقوم بعمل جدار أمني حول هويتي ولكي أتسرب إلى نظامه بسلاسة لا يستطيع بعدها أن ينظف نظامه مني، ثغراته الأمنية كثيرة جداً ذلك الأبله!

رمش قصي بعينيه كثيراً بعدم تصديق لتلك الداهية التي تسمّى حلا، توجه إلى مكتبه ليضرب الجرس للساعي لكي يحضر لها قهوتها دون أن يتفوه بأي شيء شاعراً بحرج كبير من ناحية تلك الفتاة وديما أيضاً!

الفصل الحادي عشر

رنّ هاتف ديما فأجابت بحماس وهي تضبط الشاشة لكي يراها محدثها بوضوح، تسرّب صوت أحمد إلى قصي الذي أنصت إلى مكالمتها بفضول وغيرة ، قالت ديما بفخر:
-أرأيت.. ألم أخبرك بقدراتها لقد استطاعت أن تفعلها.

خطفت حلا الهاتف منها بشقاوة لتهتف بثقة وغرور:
-حسناً سأعطيك حقّك لا تقلق.. أعترف أن توجيهاتك أنارت لي الكثير من الدروب وها أنا الآن ألقّن ذلك الغبي درساً لن ينساه.

هبّ قصي واقفاً ليقول بغضب:
-يبدو أنني آخر من يعلم هنا!

حاولت ديما امتصاص غضبه بقولها الهادئ:

samar ragab

-لا تحسب الأمور هكذا.. سيدي لقد استعنت بخبرات أحمد بعد أن غادرته أنت، وما يهمنا الآن أننا أحرزنا هدفاً في مرمى العدو أليس كذلك!

=معك حق.. إذن فالكلٌ إلى عمله.

نظر إلى حلا برسمية، أردف حديثه قائلاً بصوت لا يخلو من الجدية:

-أطلعيني بالجديد أولاً بأول وصدقيني إن فعلتها وأصبته في مقتل وجلبته إلى قبضتي لأكونَنّ أول من يقف بصفك أمام والدك وسأعمل جاهداً لضمك إلى الفريق!

صرخت بفرح وحماس شديد:
-مرحى! إذن فلتبدأ الحرب ولن أقبل بأن أكون الطرف الخاسر.

بعد مرور بعض الوقت حيث الصمت سيد الموقف وكلٌ يعمل في وجهته، هتف قصي منادياً باسم ديما ومازال عالقاً برأسه داخل الأوراق، أجابته الأخيرة بنبرة رسمية لم يعهدها منها، رفع رأسه لينظر إليها مسرعاً، قال محاولاً مداراة حرجه مما فعله معها:
- ما رأيك بقضيتنا الأخيرة تلك الخاصة بالشابين اليافعين؟

=لا أعلم سيدي لكن قلبي يحدّثني بأنّها مختلفة كثيراً عمّا عايشناه من الانتحارات المتسلسلة!

-ولمَ هذا الظن؟

=أفكر بناءً عن ما رأيته داخل منزل العسكري من جمود وثبات غريب، تارة أفكر بأنّه من الممكن أن يكون غاضباً من إقدام ابنته على الموت بتلك الطريقة مما سيجعلهم أبطال سيناريوهات مختلفة من أهالي القرية وتارة أخرى يخبرني قلبي بأنه غير حزين على ابنته فمهما حدث هو أب بالنهاية فكيف له أن يكون بتلك القسوة!

صمتت لبرهة ثم تابعت بثقة:
-غير أن حلا لم تجد بهاتف الفتاة أو الشاب أي رسائل تهديد كتلك التي كان يتلقاها الضحايا قبل موتهم!

صاحت حلا بنبرة ثابتة خالية من المشاعر:

-ديما.. بعد المعاينة الكاملة والأخيرة لهاتف الفتى والفتاة تبين لي بأنهما كانا في علاقة عاطفية مع بعضهما البعض!

هتف قصي بصدمة:
-ماذا؟!

صاحت ديما بحماس:
-أرأيت سيدي ألم أخبرك بأنني أشعر بشيء غريب هذه المرة .

أرسل قصي على الفور في طلب العسكري والد الفتاة المنتحرة وبعض من أصدقاء الفتى أيضاً ليأخذ التحقيق منحنىً آخر.

اسمك وسنك وعنوانك:
-راضي أحمد راضي، سبعة عشر عاماً، عنواني(... .)

س: ما هي صلتك بالشاب المنتحر "حسام خالد عبد البر؟
ج: إنه صديقي وأخي الذي لم تلده أمي.

س: هل كنت على علم بأفكاره الانتحارية أو لاحظت مؤخراً أي تغيرات نفسية عليه؟

ج: لا سيدي كان كل شيء طبيعي للغاية لكن...

- لكن ماذا تحدّث أيها الفتى.
=حسام في الآونة الأخيرة كان يهذي وكنا نحاول أن نحيده عن هذا الطريق.

- حاول أن تتحدث بشكل مفهوم أكثر، أدخل بصلب الموضوع.

-كان متحمساً للهرب برفقة ياسمين ابنة العم سليمان تلك التي انتحرت هي الأخرى، عندما علم العم بحبهما ومقابلاتهما المستمرة جنّ جنونه وراح يتوعد لابنته ولحسام أيضاً بأنه سيقتلهما إن لم يبتعدا عن بعضهما البعض، لكن حسام لم يزده التهديد إلا إصراراً!

samar ragab

تصبّب العرق من جبهته وجفّ حلقه، أعطاه قصي كوباً من الماء، بعد أن ارتشف القليل بتوتر صاح مكملاً لحديثه:

-فكّر حسام في الهرب معها للقاهرة أو أية محافظة بعيدة عن بطش والدها، بالفعل في تلك الليلة كان موعد هربهما بعد أن فشلت كافة محاولاتنا لجعله يتراجع عن ذلك الفعل المرفوض .
هتفت ديما متسائلة بذكاء:

-ما هو آخر حديث دار بينك وبين حسام؟

تلعثم الفتى، ازدرد لعابه قبل أن يجيب بتوتر بالغ:

-لا أتذكر حرفياً لكننا تحدثنا قبل الحادثة ببضع ساعات وكنت أحاول معه مرة أخيرة أن يتراجع عن مخططه.

هتفت حلا بمكر:

-ولمَ إذاً كانت لك علاقة بوالد الفتاة؟ بل كانت الاتصالات بينكما في الفترة الأخيرة متكرّرة.. ألا ترى أن ذلك غريب نوعاً ما؟

ضيق قصي حدقتيه، ثم هتف بنزق:
-هل كنت معجباً بياسمين؟

بلغ منه التوتر مبلغه، ضاقت أنفاسه وراح يلمس شعره ورأسه بأصابعه فكانت تلك علامة أكيدة في لغة الجسد على أنه يحاول طمأنة وتهدئة نفسه، فطن قصي لتلك العلامات فضغط عليه بقوة حيث قام بالصراخ عليه قائلاً:

-نحن نعلم كل شيء لكن من الأفضل أن تُدَون أقوالك بواسطتك أنت وباعتراف منك على أن تكون اجتهاد منا كي لا تصبح شريكاً بالجريمة.

صرخ الفتى برعب:
-جريمة!! أي جريمة.. أنا لم أفعل شيء أرجوك اتركني.

اعتلت ابتسامة نصر على ثغر قصي الذي تمتم بصوت واثق:

samar ragab

-حسناً.. سأعيد عليك الحديث لآخر مرة، أخبرني الموضوع كاملاً ومن البداية صدقني ذلك أفضل لك.

بقلة حيلة أجابه باستسلام:

-حاضرٌ سيدي.. رأيتها كالملاك وأحببتها كما لم يحبّ أحدٌ من قبل، طبعي الخجول جعلني أتردّد بمصارحتها عمّا يكنه قلبي لها، أخبرت حسام عن مشاعري لها، طمع بها بعد أن رآها وأُعجب بجمالها، طباعه المرحة والجريئة جعلته يتجرأ في التودد إليها حتى وقعت بغرامه، لقد نسي أمري عندما وقع هو الآخر بحبها، احترق داخلي بصمت لكن نيران الانتقام كان تشتعل رويدا رويدا بصدري لم أكن لأنسى ما فعله معي ولم أكن لأتعايش مع فكرة أن حبي الوحيد أصبح ملك لشخص غيري وذلك الشخص هو صديقي المقرّب!

أعددت خطتي وعزمت على تنفيذها في الخفاء حتى تظل ثقة حسام بي مثلما هي، أخبرت العم سليمان عن العلاقة التي تجمعهما بالطبع مع بعض التوابل الحارة التي وضعتها للخبر لكي تثور ثائرته ويأخذ موقفاً حاسماً معهما ولكي أجعله يشعر بالعار الذي جلبته له ابنته وبأنني سأكون المنقذ الوحيد لذلك المأزق الأخلاقي الذي وقع فيه بسبب انفلات ابنته!

انطلق صوته باكياً بحرقة وهو يقول صارخاً:
-ذلك ما كنت أودّ أن يحدث لم أكن أعلم أنهما سيقدمان على قتل نفسيهما.. صدقوني إنني أقول الحقيقة.

تساءل قصي بصوت خفيض:

-أخبرني عن ذلك اليوم تحديداً...

=أخبرت العم سليمان عن قرارهما بالفرار سوياً كي يمنعهما فصرخ بي وهو يمسك بتلابيبي بأنه سيكون آخر يوم لهما على وجه الأرض.. ظننت أنه غاضباً من خيانة ابنته له لكنني تفاجأت بما حدث ولا أعلم كيف حدث أقسم بالله أنني لا أعلم..

أمر قصي باحتجازه بينما يتمّ التحقيق مع بقية أصدقائه والتأكد من صدق حديثه الخاص بوالد الفتاة..

****

صرخت حلا بغضب وهي تضرب المكتب بقبضة قوية:

-اللعنة يا هذا.. عليك اللعنة هل تسمعني فلتذهب إلى الجحيم..

اقتربت منها ديما بسرعة لتتبيّن سبب ذلك الغضب، نظرت إلى شاشة الحاسوب أمامها فوجدت وجه ضاحك يملأ الشاشة كُتب أسفله " ليس بتلك السهولة.. حظ أوفر المرّة القادمة"

تساءلت ديما بتوتر بالغ عن سبب تلك العبارة، ودّت لو كانت إجابة ديما أي شيء آخر غير ما جال بخاطرها، لكن حلا أجابتها بانكسار يغلف صوتها وهيئتها:

-بعد أن دخلت لقلب النظام.. لفظني ذلك الحقير وظهرت لي تلك العبارة المتهكمة!

هاتفت ديما أحمد على الفور لتخبره بما حدث معهما، طلب منها الأخير أن يتحدث إلى حلا، برفق طلب أحمد من الأخيرة أن تذهب إليه بالحاسوب الشخصي الخاص بها إلى المشفى إن لم يكن لديها مانع، امتثلت إليه على الفور وشرعت في لملمة أغراضها لتذهب أليه ويعملان بروح الفريق لأنها توسّمت به ذكاءً وحنكة رغبت في متعة العمل معه.

الفصل الثاني عشر

همّت ديما بالانصراف معها، استوقفها قصي قائلاً بصوت مهزوز :

samar ragab

-إلى أين.. إنّني بحاجتك هنا فلم ننتهِ من التحقيق بعد، سأطلب من أحد العناصر إيصال حلا إلى المشفى وأنتِ انتظري هنا معي.. أقصد لنتخلص من أعباء تلك القضية الأخيرة معاً.

تنفست بعمق قبل أن تهز رأسها بالموافقة، خلا المكتب لهما حلا، خيّم الصمت على الأجواء، قطعه قصي متنحنحاً:

-هل ما زال قلبك غاضباً عليّ؟

ضيقت ما بين حاجبيها ثم قالت بتهكم:
-قلبي! وما أدراك أنت بلغة القلوب؟

شعر بالحرج وهي تسخر منه، غمغم بحرج:
-هل تقصدين أنني بلا قلب أم أنني لا أملك أي شيء يخص المشاعر بداخلي؟

=لا أقصد شيئاً.. ولا أريد التحدث عن شيء سوى العمل من فضلك... وأنا ممتنة لك حقاً لأنك علمتني ذلك.

قال بهدوء حزين:
-ديما..

قاطعه صوت طرقات الباب فأمر الطارق أن يدخل بغضب يظهر من نبرة صوته، دلف العسكري ومعه والد الفتاة المنتحرة (العسكري سليمان الزغبي) لكي يتمّ التحقيق معه، شعرت ديما بالغضب الطفيف لأنها كانت تريده أن يتحدث أكثر لكي تكتشف ما في قلبه تجاهها لكن الآن ليس لديها أي حيلة لابد وأن تنخرط سريعاً بالعمل

* * * * * * * * * * *

صاحت حلا بحماس وهي تضع القلم بجانب فمها:

-هنالك طريقة أستطيع من خلالها أن أفك شيفرة الأمان لذلك النظام اللعين لكنها...

قاطعها أحمد مسرعاً:

Samar Hasan

-لكنها ليست شرعية أليس كذلك.

أصدرت صوتاً من فمها يشبه صوت الصافرة لتعبر عن سرعة بديهته، غمغمت بصوت هادئ:

-بالضبط كذلك.. لكن لا يوجد أمامنا سواها، هل ترك لنا هذا القذر أي خيار؟!

=لكن يا حلا تلك الطريقة قد تعرضنا المساءلة القانونية غير أنها غير مصرّح بها في عملنا على الإطلاق!

- لا عليك من المساءلة القانونية الآن.. أستطيع تسوية الأمر لا تقلق.. أخبرني هل نقوم بها؟

=أخبريني أولاً من أين لك بمعرفة تلك الأمور من الانترنت المظلم وما شابه "الديب ويب"؟

-لا تسأل أسئلة غير مفيدة الآن وأخبرني بكل وضوح فليس أمامنا متسع من الوقت وذلك اللعين يتحدانا بكل بساطة وفرحته بانتصاره علينا تسبب لي الإعياء الشديد..

دار بمقلتيه يمنى ويسرى وبدت على وجهه علامات الانغماس بالتفكير، لم تدعه يفكر مطولاً، صرخت بحماس:

-كنت متأكدة بأنك ستوافقينِ الرأي.. فلنبدأ المرح يا صاح.

تعجّب أحمد من تلك التركيبة العجيبة بشخصيتها، لم يكن لديه حيلة أخرى لذا عاونها على ما ستقوم به متوسماً أن يغطي نجاحهما على فعلتهم الغير قانوني
******
اسمك وسنك وعنوانك:

-سليمان..

samar ragab

قاطعه قصي قائلاً للكاتب بجواره، لديك كافة بياناته إنه أحد أفرادنا، لنقم الآن بالأسئلة المفيدة لنا..

س: أين كنت عندما أقدمت ابنتك على شنق نفسها.

بثبات غريب أجابه:

-كنت نائماً سيدي واستيقظت على صراخ زوجتي عندما شاهدت ابنتها بتلك الحالة.

س: هل لديك أي فكرة عن فعلتها بنفسها؟ هل كان يعاملها أحدكم بقسوة مما دفعها للانتحار؟

ج: على العكس تماماً لقد كانت مدلّلة وكل ما تطلبه مُجاب.

س: هل كنت تعلم بأمر علاقتها العاطفية مع المدعو حسام الفتى الذي انتحر معها في نفس الليلة؟

بتوتر بالغ وتلعثم حاول مداراته في صوته أجاب:

-أي علاقة تلك يا قصي باشا عمَّ تتحدث؟ حباً بالله لا تقل مثل تلك الأشياء فلن يكون الأمر موت وخراب ديار.

=أجب بما آمرك به فقط ولا تُذِهب مسار الحديث لمحطات أخرى لا تفيدنا بشيء.. هل كنت تعلم يا سليمان؟

ابتلع ريقه بصعوبة، استمر على حالة الإنكار بقوة وإصرار، قال قصي بثبات واثقاً:

-إذاً فلنفعل التالي.. أرسل قصي لجلب الفتى راضي الذي أقر بفعلته من الحجز ليتم مواجهته بسليمان الذي ما أن سمع ذلك حتى خارت قواه وانهدمت حصون قوته الزائفة فوق رأسه.

samar ragab

جلس راضي قبالة سليمان وهو يبكي بحرقة، نظر إليه سليمان نظرات حارقة مدمرة لأنه وشى به وكان ضعيفاً لذلك الحد الذي جعله الآن مطالباً بدفاع قوي ضد حديثه.

صاخ قصي متسائلاً موجهاً حديثه لسليمان:

-ما هو قولك في المنسوب إليك من المدعو راضي بأنك كنت على علم بعلاقة ابنتك بحسام وحتى أنك كنت تعلم بقصة هربهما سوياً؟

=بالطبع لم أفعل.. وأنا حقاً لا أفهم من أين خرجت تلك القصة المشينة الآن.. إن ابنتي بريئة من تلك الافتراءات وإن كان هنالك شخص بتلك الغرفة مُدان فسيكون ذلك الشاب الذي يجلس أمامي لأنه يختلق الأكاذيب بحق ابنتي التي لن تستطيع الدفاع عن نفسها.

حدّث قصي نفسه مشيداً بثبات وخبث ذلك الرجل، في تلك اللحظة تحدثت ديما وقالت بنفاذ صبر:

-أيها العم سليمان.. دعني أدلو لك بدلوي اذا سمحت، للأسف مكالماتك مع راضي كلها كانت مسجلة، ليس هذا فقط بل كاميرات الشوارع رصدتك وأنت تتحدث مع حسام أكثر من مره ويبدو أنك كنت غاضباً بعض الشيء.. هل تستطيع إخباري بسبب غضبك أم أخبرك أنا وستتعجب حقاً من معرفتي الكاملة بكافة جوانب الموضوع وكأنني كنت معكما لحظة بلحظة!

أرسل إليها سليمان نظرات حارقة متوعدة، حاول أن يجيب بهدوء منافي لثورته العارمة بداخله:

-غير صحيح أنا لا أعلم أي شيء عن حديثك.

ابتسمت ابتسامة جانبية متهكمة، غمغمت بصوت هادئ تملؤه الثقة:
- إذاً فلننتقل للجزء المثير في فيلم الليلة.. أعرني سمعك لحظة...

قامت بتشغيل صوت مسجل على هاتفها لينطلق حديث سليمان مع راضي والذي كان كالتالي:

samar adel

-يا عمّي سليمان إذا كنت ستصبر على هذا الأمر الفظيع فأنا لن أصبر عليه، لا أستطيع إخماد صوت ضميري أكثر من ذلك.

فيجيبه سليمان صارخاً:

-ماذا هناك أيضاً أيها الصبي الأرعن.

=ياسمين وحسام سوف يتركان البلدة ليفرّا هاربين معاً الليلة، مخلفة وراءها فضيحة لن تنسى لك ولعائلتها كلها!

صوت سليمان الثائر بعد تلك الجملة كان يصم الآذان، كرر وعيده بقتله وقتلها أكثر من مره...

أغلقت التسجيل ليقول قصي بانتصار:

-ما رأيك الآن؟ أليس هذا صوتك أم أننا نتوهم ذلك؟

شعر سليمان بأن لا مفرّ من الإنكار أكثر من ذلك، انهار باكياً لأول مرة من وقت ما حدث، قص عليهم كل شيء من البداية حيث قال منهاراً:
-ابنتي جلبت لي العار.. من سهرت على رعايتها، من كنت أقطع من لحمي لأجعلها تأكل وتشرب وتصبح أفضل من ذويها، لقد ضربتني بخنجر مسموم بمنتصف قلبي، كان لابد من تنظيف أوساخها التي علقت بذيلي، واجهتها بما علمت عنها، ليتها أنكرت، أقسم بربي لو أنها قالت لم أفعل يا أبي لكنت أول المصدقين، بمنتهى الجرأة والوقاحة وقفت بوجهي لتخبرني بفظاعة حبها لهذا الصبي، تحدتني بشكل واضح، لم يشكل لها خوفي عليها ومنها أي فارق!

حبستها بالمنزل، منعت عنها الهاتف وكل شيء قد يصلها بذلك الصبي الفاجر، عندما علمت بمخططهما دارت الأرض بي بما رحبت، لم أعد أفكر بشكل سليم، عزمت على قتلهما قبل أن أصبح علكة بلسان القرية بأكملها، أنار الشيطان بعقلي مصابيح الشر أكثر وأكثر بأن جعلني أستغل قصة الانتحارات المتتالية التي نعمل عليها مؤخراً!

خنقتها بكلتا يديّ، لم أكن لأتراجع حتى مع توسلاتها التي لم تتوقف عنها إلا وهي مفارقة للحياة، سكت صوتها وتلاشت نبضات قلبها.. ذهبت وذهب معها عمري، آهٍ يا ابنتي آه لما فعلت بي ذلك لما؟

أجهش بالبكاء عند تلك النقطة حتى ملأ صوته أركان الغرفة، حاول قصي تهدئته بأن ناوله كوباً من الماء لكن محاولاته باءت بالفشل، لقد انهار الرجل تماماً!

الفصل الثالث عشر

استطاعت تلك الطريقة الخطرة أن تخترق نظام الجاني بلا أي مقاومة منه حتى أنها شلّت حركته تماماً، صرخ أحمد وحلا بحماس شديد عندما تسرب شعور لذيذ بالنصر إلى صدريهما، سحبت حلا كل معلومات ذلك النظام بخفة، أغلقت عليه جميع الطرق التي يستطيع من خلالها تأمين نفسه مرة أخرى، حددت بدقة مكانه ، قفزت مسرعة من جواره لتذهب إلى قسم الشرطة مرة أخرى لتعلن بكل فخر عن ربحها للحرب الالكترونية الشرسة بينها وبين الجاني
* * * * * * * * * * *
استطرد سليمان حديثه قائلاً بعد أن هدأ قليلاً:

-أما عن الصبي فقد جعلت راضي يحادثه كي أقابله مرة أخيرة وأتفق معه عن شيء سيرضينا جميعاً كنت أخدعه بالطبع، أخبرته بأنني سآتي إليه في المساء وسأدخل إلى غرفته من النافذة دون أن يشعر بي أحد من أهله وعللت ذلك بأنني أريد أن أرى غرفته وكيف يعيش لكي أطمئن على حال ابنتي عندما تتزوجه في غرفته دون أن أكلل رقبته بأعباء الزواج المعتادة وصدقني ذلك الأبله كم كان غبياً!

تسللت إلى غرفته كما اتفقنا وباغته بأن خنقته مثلما فعلت مع ابنتي وعلقته بمشنقة مماثلة للمشنقة التي أعددتها لها بكلتا يديّ!

أُغلق المحضر وتم تحرير أقواله للعرض على النائب العام في صباح اليوم التالي وأُرفق بملف قضيته تقرير الطبيب الشرعي الذي أثبت أن الحالتين قد توفوا قبل أن تتعلق رقابهما بالمشنقة وأن اسفكسيا الخنق تمت قبل المشنقة بوقت

وفير، الطبيب الشرعي يشك بأن الفاعل هو شخص واحد في الحالتين لتشابه الخطوات تماماً ورجح أنها حادثة قتل لا انتحار!

أغلقت ديما التقرير وهي تقول ضاحكة بانتصار:
-دائماً ما نكون سابقين بخطوة.. لقد توصلنا للقاتل قبل أن يصل إلينا ذلك التقرير، أحييك سيدي على كفاءتك وحنكتك بالعمل.

أجابها بنظرات محبة رقيقة معاكسة لطبيعته الجادة:

-لابد أن أعترف بأنك من حللتِ تلك القضية وأن جميع شكوكك كانت بمحلها وصائبة للغاية، بل أنا من يحيّيك على ذكائك ودقتك الشديدة التي نادراً ما أجدها في امرأة!

كادت أن تردّ عليه بمحاضرة عما تقدر عليه المرأة لكن دخول حلا المتحمس وصوتها الصارخ جعلها تتنحّى عن النقاش الآن، هتفت حلا بمرح:

-إليكم التفاصيل الكاملة عن مكان الجاني ونظامه بأكمله تحت سيطرتنا..

ألقى قصي نظرة سريعة بفرحة عارمة، سارع بصحبة عناصره إلى الوجهة المطلوبة بعد أن أصبحت بقبضته كل البيانات الخاصة والشخصية عن الجاني الذي حاول الهرب لكن قصي ضيق عليه كل الحدود فأمر أن تُشكل لجان مرورية على كافة الطرق التي من المحتمل أن يفكر أو لا يفكر الجاني في الهرب عن خلالها، تبين له أن الجاني كان يستخدم حاسوبه الخاص في مقرّ العمل الذي كان عبارة عن شركة اتصالات شهيرة تعمل في مجال الهواتف الجوالة وخدمات الإنترنت، فتش قصي عنه في منزله وكل منزل قد يفكر في الهرب إليه لكن دون جدوى !

حاول الجاني الفرار من لجنة مرورية على إحدى الطرق لكن في النهاية تم إلقاء القبض عليه بطريقة تناسب شخصيته العنيفة في محاولته الهرب من قبضتهم!

* * * * * * * * * * *

وأخيراً تم القبض على ذلك المجرم المحرض لسلسلة الانتحارات المتتابعة..
هل خطر بذهنكم أنه يستحق أبشع طرق الموت حقاً، أم ليس من حقه أبداً أن يحاسب الناس ويحدّد وقت موتهم...!

جلس أمام قصي شاب تقريباً في الثلاثين من عمره، طويل القامة، خمري اللون عيناه حادتان كأعين الصقر، يمتلك ثقة عمياء بنفسه وبردود أفعاله، ثباته الانفعالي قوي للغاية، يغلب على مظهره قوة الشخصية.. كل تلك الصفات لاحظتها ديما على الفور فتأكدت أنه لن يعترف بسهولة ويحتاج إلى حنكة للتعامل معه وإيقاعه في فخ نصبه هو لغيره!

سأله قصي بحزم:
- الاسم والسن والعنوان.

أجاب بسخرية:
-وبرغم أنكم دائماً تعرفون إجابة كل تلك الأسئلة البديهية لكنكم تحبون تضيعة الوقت وتسألونها من جديد!

هتف قصي بثقة:
- امممممم! هل سنبدأها هكذا؟ لعبة القط والفأر، حسناً اسمعني جيداً يا حبيب والدتك، أنا هنا من يسأل وأنت مثل الحذاء الذي ترتديه في قدميك تجيب فقط!

هتف الشاب بثبات:
-ليس من حقك أن تعاملني بذلك الأسلوب، أستطيع أن أذهب بك وراء الشمس ألا تسمع شيئا عن حقوق الإنسان؟ أنا امتنع كلياً عن الحديث حتى يأتي المحامي الخاص بي.

samar ragab

بلغ الغضب من قصي مبلغاً عظيماً، كاد أن يقذفه بالكوب الزجاجي الذي امامه ويهشم وجهه لكن ديما تدخلت بأن جلست أمام الشاب وقالت بهدوء عجيب:
- قصي باشا... هل تسمع شيئاً؟ هنالك ذبابة تصدر صوتاً مزعجاً لكن لكل داءٍ دواء أليس كذلك سنضطر أن نرشها بمبيد حشري يقتلها على الفور!

فهم قصي ما ترمي إليه ديما فتمتم بهدوء بعد أن أعاد ظهره علي مقعده بثقة:
-لكني أفضل أن أحبس تلك الذبابة في غرفة الفئران حتى تتأدب وتكفّ عن إصدار تلك الأصوات أو تتعفن وحيدة هناك!

ضيق الشاب حدقتيه ثم قال ببرود:
- هذا تهديد صريح وأنا أرفضه تماماً وسأقوم برفع دعوى قضائية ضدكما.. لن أصمت على ذلك.

قاطعته ديما بقوة:
-هذا أن خرجت من هنا وقتها افعل ما تشاء !

صاح قصي بجدية:
-نعود للبداية ثانيةً وكأنَّ شيئاً لم يحدث.. الاسم والسن والعنوان؟

أجابه الشاب بحذر متوتراً:
- شريف محسن جاد الحق، ثلاثة وثلاثين عاماً، العنوان (....).

ابتسم قصي بانتصار وقال:
-ما هي مهنتك الأساسية؟

أجابه بخبث:
-مهندس اتصالات بإحدى شركات الاتصال الكبيرة (....).

samar ragab

سألته ديما بذكاء:
-يقولون في الأمثال الشعبية "ما يقع الا الشاطر" لقد وقعت في قبضتنا بسبب خطأ تافه للغاية لا يقع به شخص محترف مثلك؛ آخر مره هددت بها الفتاة كانت من حسابك الشخصي يا "باشمهندس"

رفع حاجبه الأيسر وقال بثقة:
-لا أفهم قصدك.

أجابته بثبات:
-لا إنك تفهم مقصدي وتفهمه بوضوح، أخبرني هل من الممكن أن تقع بكل بساطة مثلما وقعت هكذا؟ أذلك الشيء يُنسى! كان من المفترض أن تأخذ احتياطاتك أكثر من ذلك، حسابك الشخصي من السهل جداً اختراقه على عكس نظام الشركة المُأمن بشكل قوي!

اهتز قليلا وفكر برهة قبل أن يجيبها:
-أيضاً لا أفهم مقصدك.

قالت بهدوء وهي تُرِيه رسالة مرسلة من حسابه على حساب سلوى:
-بالطبع تلك الرسالة قد كشفت لنا هويتك واستطعنا بسهولة أن نحدد موقعك والأدلة ضدك قوية للغاية لا تستطيع إنكارها مهما فعلت.. أنك واقع لا محالة.

انفعل وأجاب دون وعي:
-مستحيل أن أخطئ ذلك الخطأ التافه لأنني لا أستخدم حاسوبي في أي شيء من هذا!

قهقهت ديما وقالت بانتصار:

samar rajab

-نحن نعلم ذلك بالفعل، وما أريتك إياه لم يكن سوى رسالة مزيفة، لم أكن لأتوقع بأنك ستقع بتلك السرعة تخيلت أنك ستحتاج لمجهود عظيم لكي نستطيع أن نمسك بك يا لك من متهور مغرور!

انتفض شريف وفز واقفا بغضب وهو يصرخ قائلاً:
-هذا يسمى غش وتلاعب بالكلام لن أمرر لكم ذلك الأمر سوف..

قاطعه قصي بصوت عالٍ مهيب:
- اجلس مكانك وتحدث بأدب وتلك المرة الأخيرة التي أحذرك فيها بهدوء.

جلس شريف بانهزام وقال بصوت حزين:
-أنا لم أخطئ بشيء بل جميعهم من أخطأ.. كان لابد أن أنظف الدنيا من شرورهم، لم أكن لأتحمل وجودهم كلهم مجرمون ولا أستثني أحد!

قاطعه قصي وقال بثقة:
- لا.. انتظر أريد أن أعرف كل شيء من البداية لحظة بلحظة.
.

تنهّد شريف بعمق وقال بصوت يرتجف خوفاً:

-لم أستطع التحمل وأنا أستمع لمكالماتهم، شعرت بأنّني مسؤول عن تحقيق العدالة وتخليص البشر من شرورهم، راودتني الأفكار الشرسة لقتلهم بيدي لكنّني تراجعت فكيف لي أن ألوث يدي بدمائهم الفاسدة، سأجعلهم يقتلون أنفسهم بأنفسهم.

-قمت باستغلال وظيفتي دون أن يشعر بي أحد فصنعت نظام أمني قوي للغاية وأرسلت روابط برصيد مجاني والطمع لم يجعلهم يفكرون دقيقة واحدة في ماهية تلك الروابط وقاموا بفتحها ليعطوا لي الإذن بالتحكم الكامل في كل بياناتهم حتى أجهزة الكمبيوتر استطعت أن أخترقها عندما أرسلت إليهم صوراً

samar ragab

وفيديوهات شخصية خاصة بهم لأصبح مرة أخرى متحكم بكل نفَس يتنفسون دون أن يعلموا كيف أعلم كل شيء بتلك الطريقة المخيفة!

استوقفه قصي طالباً منه أن يقصّ عليه كيف بدأ الأمر من الأساس فقال بصوت خافت خائف:

- بدأ الأمر عندما وصلتني شكوى من عميل اسمه حسان.. بأن الباقة الخاصة به تنفذ سريعاً دون أن يستخدمها كاملة، وقمت بتحويل الرصيد له أكثر من مرة فوجدته يكرّر الأمر فشككت به وفعلت له حصر بالمكالمات الخاصة به وواجهته بها لأنه كان في سنّ والدي وكنت أشفق عليه بإرسال الرصيد له من مالي الخاص، عندما حاصرت مكالماته واستمعت إليها وجدته يهدّد النساء ويأمرهنّ بإرسال الصور الإباحية له بأسرع وقت ممكن وإلا سيقوم بفضحهن، شعرت بالفضول يأكلني فقمت بتهكير هاتفه بالكامل لكي أفهم أكثر عما يفعله ذلك المسن، احترقت الدماء في عروقي عندما استمعت لتوسلاتهن وصراخهن الدائم وطلبهن المستمر للرحمة من قلب ذلك المتحجّر العجوز، قررت أن أنتقم منه وأشعره بما شعرن به تلك المسكينات!

شعرت بالنصر والراحة النفسية بعد أن نجحت في جعله يقتل نفسه ويخلص هؤلاء النساء من جحيمه، ومن هنا بدأت أن أستمع لمكالمات وقصص وأسرار الناس، لقد استمعت لأشياء كثيرة جعلت شعر رأسي يفزّ واقفاً من هولها، فقررت أن أقيم عليهم الحد ويصبح مصيرهم مثل مصير حسان!

هتف قصي قائلاً بحنكة:
-ما هذا الحديث الفارغ! هل من الممكن ألا تستخفّ بعقولنا! أي مال هذا الذي كنت تنفقه على هذا الرجل من جيبك، قم بقصّ كافة تفاصيل ما حدث ولا أنصحك بالمراوغة، إن آخر شخص قد فكر في المراوغة هنا كانت البذة الحمراء مصيره لأنني لا أغفل عن شيء يخص عملي، هل تفهمني جيداً؟

شعر " شريف" بأنه محاصر تماماً فقرر أن يقصّ عليهم ما حدث تفصيلاً، عاد بهم إلى أول شيء حدث جعله يكرّر فعلته مراراً وتكراراً حيث سرد عليهم ما يلي:

-ألن تكفّ عن تلك العادة السيئة يا صديقي، فضولك هذا سيجلب لك المصائب يوماً ما، الشخص منا لا يطيق أن يستمع لثرثرة زوجته بالمنزل وأنت تجلس يومياً تلك الجلسة خارج ساعات عملك لتستمع لتلك الثرثرات السخيفة ألا تشعر بالملل يا هذا؟

هتف " شريف " بعصبية:
-ماذا بك يا إسماعيل؟ ارفع صوتك أكثر هيا لتجعل كل من بالشركة يستمع إليك، أنا مخطئ حقاً لإخبارك بأي شيء يخصني!

اقترب منهم " عصام " بمقعده الجالس عليه على مقربة من مكتب " شريف وقال بمزاح ثقيل:

-اتركه يا إسماعيل إنه شخص خالي الوفاض، محظوظ لم يقع بفخ الزواج مثلنا ولم يتورّط بإذاعات الشرق الأوسط مثلما تورطنا عقله ما زال فارغاً.

زفر بضيق قبل أن يقول بغضب:
-يا لتلك الصداقة العفنة إنّني مخطئ حقاً في مشاركتي لكم مواهبي السمعية التي لم ولن يفهمها من هم أمثالكم، كان من المفترض أن أصبح طبيب نفسي لموهبتي في سماع الناس ومشاكلهم وحلولي الذكية لها.

ربح ما ربح من مزاح وتنمر عليه من رفيقيه تركهم فجأة واقترب من حاسوبه حتى كاد يلتصق به ووجهه حاملاً لتعبيرات الغضب والبغض وكأنه يستمع إلى شيء مهم صادم فبعث في نفوسهم الفضول والخوف أيضا مما جعل " عصام " يخطف سماعة الرأس من شريف بخفة ليضعها على رأسه ويلتقط بسمعه سر ذاك التعبير الذي يراه على وجه رفيقه فأتاه صوت امرأة يبدو أنها في الأربعينيات من عمرها، تصرخ ببكاء مرير مستغيثة بكل ضعف وقوة قائلة:

- ارجوك إنني امرأة متزوجة، هل ترتضي ذلك على ابنتك أو شقيقتك أو حتى زوجتك... حرامٌ عليك ذلك الفعل المشين لقد خدعتني لستة أشهر كاملة وأنت تتحدث معي على الانترنت وكأنك امرأة مثلي، من أين لي أن أعلم بأنك رجل

وسيقوم بابتزازي بتلك الطريقة المرعبة، أرجوك قم بستري ولا تفضحني إن عمري لم يعد يتحمل تلك الفضائح!

حيث أجابها الطرف الاخر من المكالمة ببرود وتنهيدات حارة ، يتبين لدى المستمعين أنه رجل تقريباً في العقد الخامس او السادس من العمر:

-كفي عن تلك التوسلات يا امرأة لقد بدأت أتضايق بالفعل، وهل ينفع أن ترسلي صورك لامرأة مثلك حتى! أنتِ تستحقين ما يحدث لك.. أمامك ساعة واحدة من الزمن لا أكثر لو لم تأتي؟ إلى داري أتيتُ إلى دارك وسأخبر الجميع بأنكِ مجرد عاهرة ترسل صورها إلى الرجال من أجل المال وأنا محض رجل بريء لا تستهويه مَن مثلك تبكي القذارات وسيفعل بكِ زوجكِ ما لا عين رأت ولا خطر على بال بشر فلتنقذي نفسك من كل ذلك ودعينا نتسلى ونسرق من الدنيا لحظات سعيدة وحميمية!

بكاء واستغاثات متكررة قوبلت من الرجل بضحكات وانتشاء شديد حتى أغلق الخط بوجهها وآخر كلماته انه بانتظارها.

جعل "عصام " المكالمة قيد الحفظ مع بيانات الرجل ورقم هاتفه الجوال وبيانات المرأة أيضاً، أعطى السماعة لرفيقه الثالث ليستمع هو الآخر لتلك الدناءة التي تسكن صدر ذاك العجوز الوغد.

لم يشعروا ثلاثتهم سوى بنيران الغيظ والشرف تغلي بدمائهم رغم فعلتهم التي لا تقل دناءة عنه وعن غيره وهي التجسس على غيرهم والاستماع لأسرارهم وهتك خبايا قلوبهم.

منذ ذلك اليوم وهم يجتمعون حول جهاز " شريف " ليسترقوا السمع على مكالمات الجناة لإنقاذ البشرية من شرورهم ونيران الخطيئة التي تحرق أنفسهم وأنفس بريئة حولهم لا يعلمون شيئا عن جرائمهم الخفية.

تبع التهديد تهديداً آخراً وكلما تمّ الانتحار كلما انتشوا واحتفلوا بتخلصهم من شرير آخر، رغبتهم في تنفيذ كل من هم على قائمة الانتظار ليدلوا بدلوهم داخل

حياتهم ويقرروا انهاءها متى شاءوا ونسوا أو غفلوا عن ميزان الحق الذي يزن الكون؛ ميزان الله العادل الجبار.

لم يدري قصي ما الرد المناسب على ما يسمعه.. إنه محق كلهم إذا أطلقنا عليهم لقب قمامة ظلمنا القمامة ولكن حتما لابد ألا ننسى قول الله تعالى " ولا تجسّسوا " الله يرى ويسمع هؤلاء الظالمين الفاسدين يمهلهم لكن لا يهملهم وعقابهم سوف ينالونه في الوقت الذي يأذن به الله وإن وعد الله حق!

أمر قصي بأن يُحتَجز المتهم لتحويله على النيابة ومن ثم على المحكمة للبتّ في أمره وأمر المحرضين على الانتحار معه بعد أن يتم التحقيق معهم واتخاذ اللازم.

أطلق عليهم الإعلام لقب "المثلث الذهبي" ثلاثتهم يكرهون الظلم ويحبون إقامة العدل لكن أيضا الذهب يبقى ذهباً يرفض اقترانه بأي معدن آخر وله جوانب مظلمة!

الفصل الرابع عشر والأخير

احتفلوا فيما بينهم لحلّ لغز القضية وإغلاق ملفها للأبد، اعترف قصي بذكاء وقوة ديما وكتب تقريراً مفصلاً عن اتقانها للعمل وأنّه من المنصف لها أن تبدأ بالعمل فهي لا تحتاج إلى أي تدريب، أما عن حلا فطلب قصي بشكل شخصي من أبيها أن يجعلها تعمل بمجالها الذي تحب لأنها مبدعه ونافعة لجهاز الشرطة عن استحقاق!

حزمت ديما أمتعتها وذهبت إلى المشفى وودّعت أحمد بكلمات مهذبة رقيقة، تركت معه حلا التي طلبت منها أن تظلّ برفقته بعض الوقت قبل أن يغادرا القرية بلا عودة!

samar ragab

هتف أحمد بصوت حنون:
-كنت أتمنى أن نعمل معاً في قضايا أخرى، لقد استمتعت حقاً بوجودك يا ديما ولا أعلم كيف سأمضي وقتي بدونك!

=ومن يعلم أحمد فالقدر دائماً له حسابات أخرى وربما نجتمع يوماً ما.

-هل تحدّثتِ مع قصي؟
=لم أفعل لكنّني بصدد ذلك سأتوجه إلى هناك فور خروجي من هنا لأودعه هو الآخر لكنني فضلت أن أراك أولاً لأنني سأشتاق إليك حقاً يا أخي.. هل تسمح لي بمناداتك أخي؟

-أسمح لكِ بأي شيء ديما، ألا تعلمين مقدارك داخل قلبي؟

=كن بخير لأجلي وتواصل معي باستمرار.

أمسك بكفيها بحنو، ربت عليهما برقة ثم ابتسم ولم يعقب على حديثها، غادرت بهدوء وهي تخبر حلا بمكان وموعد اللقاء لكي يرحلا من القرية.

هتفت حلا وهي تنظر لديما التي غادرت من أمامها حزينة للغاية:

-أتتراهن معي بأنها لن ترحل؟
ضيق ما بين حاجبيه بتعجب ثم قال بتساؤل:
-من أين لكِ بتلك الثقة؟
=إنّه الحب يا عزيزي لا يستأذن قبل الدخول..

* * * * * * * * *

وقفت أمام قصي وعيناها تقول بلهفة:

- تحدّث يا قصي اطلب مني البقاء، صدقني سأبقى بأقل الكلمات!

لم يتحدث وظل صامتاً حزيناً فشعرت بأنّه لا يأبه لوجودها أو غيابها وأنّها كانت متوهمة لأنها كانت تظن بأنه يبادلها الحب!

samar ragab

ألقت عليه التحية برسمية وغادرت حاملةً بقلبها حزن لو هبط على جبل لحطمه..

قلبه يصرخ "عودي لا ترحلي لا تتركيني" .. تعلّق قلبي بك كالطفل الملتصق بوالدته .. أبلغ من العمر الكثير ولكنني أشعر بأنني الآن طفل يتيم تغادره والدته ليتمزق قلبه خلفها بقسوة .. مع الكثير من الفرق هنا؛ هذا الطفل هو الذي يحثّ والدته على الرحيل ولا يتمسك بطرف جلبابها متوسلاً باكياً ورائها!

قدماها ثقيلتان لا تود الرحيل أبداً ولكن بأي صفة ستظل؟ إنه عار على الفتاة أن تفرض نفسها وحبها على رجل لا يطلب منها أبسط الأشياء وهي البقاء بجانبه!

" تمنيت منك فقط أن تقول لا تغادري صدقني لبقيت بجانبك حتى ألفظ أنفاسي الأخيرة ولن اتحرك من جوارك إلا محملة بكفني، لو تفوّه بها تلك الكلمة ستغير الكثير بينا، لا أعلم إذا ما كنت سأقابلك مرة أخرى أم لا ولكنك ستحيا بقلبي ما دمت اتنفس...!

جلس قصي على مكتبه وهو يضع كفيه على رأسه متكئ على مكتبه شارد الذهن، تلمع عيناه بعبرات تأبى أن تسقط!

-لماذا؟

رفع رأسه بلهفة عندما سمع تلك الكلمة من ذلك الصوت الذي تطرب له أذناه ، وجدها أمامه تقف حائرة، لم يجبها فأعادت الكلمة عليه مرة أخرى بحدة.
نهض ووقف قبالتها قائلاً بضعف:
-إنّني خائف من الضعف وخائف من الانكسار الذي يعقب الضعف.

قالت بسرعة:
-هل ترى أنني من الممكن أن أجعلك ضعيفاً أو أتسبب في كسرك؟

samar nagah

أجابها بخفوت:
- لا تتركيني، لا ترحلي!

ابتسمت بأعين دامعة وقالت:
-وأخيراً تحدّث الصخر.

ضحك رغماً عنه وقال بعشق:
- ديما.. هل تتزوجينني؟

غمزت له وقالت بشقاوة ودلع:
- لا...!!!

• • • • •

مضت الأيام بين تجهيزات للخطبة وبين انتقاءات عدة لفستان الحفل والبذة الرسمية التي قرّر " قصي " ارتداءها لتعلن عن عريس وسيم من جهة أمنية عال المرتبة.

تجمهر أهل البلدة وأفراد العسكر جميعاً حول العريس والعروس مهلّلين محتفلين بهم ، وقع اختيار "ديما " على فستان أنيق رقيق يشبه لون السماء عند صفائها مزين خصره بعقد لؤلؤي يومض كوميض القمر في ظلمة الليل يزين الكحل الأزرق الداكن عينيها الواسعتين ، يعتلي التاج الالماسي شعرها الطويل الذي تركته حرا طليقا ليتهافت عليه عموم الناس من النساء والرجال ، يتقدّم إليها " قصي " الضابط الأنيق بصحبة أحمد الذي يحمل بيده علبة صغيرة حمراء تحتوي خاتم الخطبة الذي صُنع خصيصا ليناسب إصبعها المرمري، تقف " ديما " وهي واضعة يديها في يد أبيها وعمها تنظر بلهفة وحب بالغ إلى قصي وهو يتقدم ليأخذها من والدها ليضع بيدها خاتم الارتباط الأبدي.

بعد ساعة من السعادة والحب والاحتفال المنمق انطلقت أصوات أعيرة نارية متتالية ، دب القلق في قلب قصي والحضور بقاعة الاحتفال فخرج أحمد

بصحبة بعض عناصر الشرطة لتفقد مصدر الصوت بعد أن طمأن قصي بأنه سوف يعود إليه حاملاً أخباراً مؤكدة عما يحدث خارج القاعة!

خرج قصي وديما من القاعة وحسهم الأمني يتزايد لمعرفة ما يحدث، أوقفتهم حلا وهي تقول بمرح:

-ما خطبكما! أتتركان حفلكما وترحلان بتلك البساطة؟

عاد أحمد ضاحكاً ليخبرهما بأن أحد الحضور يحتفل بهما على طريقته الخاصة ولا داعي للقلق.

قالت حلا موجهة حديثها لأحمد:
-تلك الحياة شاقة يا صاح حتى بليلة خطبتهما لا يتركان عباءة عملهما بالخارج!

=دعكِ من هذا الأمر هل فكرت فيما طلبته منك؟

-أي أمر ذكرني مجدداً؟

تضايق أحمد وتركها دون أن يتفوّه بحرف واحد، ابتسمت بمكر وتوجهت إلى المسرح بجانب العروسان لتأخذ الميكرفون من فرقة العزف وتجذب الانتباه إليها حيث قالت بجنون:

-عذراً.. سأخطف الأضواء قليلاً من العروسين لأعلن عن شيء هام بالنسبة لي... هنالك شخص من بين الحضور قد عرض عليّ الزواج وأودّ أن أخبره بأنني بالطبع موافقة يا أبله لأنني أحبك أكثر مما تظن!

"تمت بحمد الله"

samar ragab

samar ragab